حِكَايَاتٌ شَعْبِيَّةٌ
مِنَ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ

حِكَايَاتٌ شَعْبِيَّةٌ
مِنَ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ

تأليف

شهاب سلطان

رسوم

عبد الرحمن بكر

الدار النموذجية للطباعة والنشر

صيدا - بيروت

شركة أبناء شريف الأنصاري
للطباعة والنشر والتوزيع
صيدا - بيروت - لبنان

• المكتبة العصرية
الخندق الغميق - ص.ب: 11/8355
تلفاكس: 655015 - 632673 - 00961 1 659875
بيروت - لبنان

• الدار النموذجية
بوليفار د. نزيه البزري - ص.ب: 221
تلفاكس: 720624 - 729259 - 00961 7 729261
صيدا - لبنان

• المطبعة العصرية
كفر جرة - طريق عام صيدا - جزين
07 230195 - 00961 7 230841
تلفاكس: 655015 - 632673 - 00961 1 659875
صيدا - لبنان

الطبعة الأولى
2020 م - 1441 هـ

Copyright© all rights reserved
جميع الحقوق محفوظة للناشر
لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي نحو أو بأي طريقة سواء كانت الكترونية أو بالتصوير أو التسجيل أو خلاف ذلك إلا بموافقة كتابية من الناشر مقدماً.

E. Mail: alassrya@terra.net.lb
alassrya@cyberia.net.lb
info@alassrya.com

موقعنا على الإنترنت
www.alassrya.com

المحتويات

الدِّينَارُ الذَّهَبِيُّ 6

الصَّيَّادُ وَاللُّؤْلُؤَةُ 12

الْحَطَّابُ الصَّغِيرُ 18

التَّمْرُ الَّذِي صَارَ حَجَرًا 24

«جُحَا» النَّجْدِيُّ وَالتَّمْرُ 30

«جُحَا» وَصَاحِبُ الْبُسْتَانِ 36

«جُحَا» وَالْفَلَّاحُ 42

«جُحَا» وَالْمُرَابِي 48

«سَرْحَانُ» وَبِنْتُ مَلِكِ الزَّمَانِ. .. 54

النَّصِيحَةُ الْغَالِيَةُ 60

الْأَمِيرُ وَالشَّيْخُ الْكَبِيرُ. 66

لَبَنُ النَّاقَةِ 72

الْجَدَّةُ وَالصَّبِيُّ 78

الْأَخَــوَانِ. 84

اللُّصُوصُ الثَّلَاثَةُ 90

الْغُرَابُ وَالثَّعْلَبُ 96

الْمَالُ الْحَلَالُ 102

تَاجِرُ الْبُنِّ 108

مِنْدِيلُ الْعَرَقِ. 114

الْحِمَارُ وَالثَّوْرُ 120

أَسْئِلَةٌ عَامَّةٌ عَلَى الْكِتَابِ 126

الدِّينَارُ الذَّهَبِيُّ

زَمَانٌ.. وَفِي يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الزَّمَنِ الَّذِي فَاتَ، كَانَ هُنَاكَ تَاجِرٌ بَارَكَ اللهُ لَهُ فِي تِجَارَتِهِ، وَرَزَقَهُ مِنْهَا الْكَثِيرَ مِنَ الْمَالِ الْحَلَالِ، وَلَمْ يَرْزُقْهُ مِنَ الْأَوْلَادِ إِلَّا وَلَدًا وَاحِدًا. وَلِأَنَّ الْأَبْنَاءَ رِزْقٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَقَدْ أَطْلَقَ التَّاجِرُ عَلَى ابْنِهِ اسْمَ «رِزْق».

وَفِي الْوَقْتِ الَّذِي رَاحَ فِيهِ التَّاجِرُ يُعَلِّمُ ابْنَهُ أُصُولَ التِّجَارَةِ وَأَسْبَابَ الرِّبْحِ وَالْخَسَارَةِ؛ حَتَّى يَجْلِسَ مَكَانَهُ وَيُدِيرَ تِجَارَتَهُ وَيَنْجَحَ فِيهَا مِثْلَهُ. كَانَتْ أُمُّهُ تُدَلِّلُهُ فِي كُلِّ أَوْقَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ.

وَكَبِرَ «رِزْقٌ» فِي حِضْنِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ وَصَارَ شَابًّا فَتِيًّا، وَقَدْ تَغَلَّبَ حُبُّ الْأُمِّ عَلَى حُلْمِ الْأَبِ، وَصَارَ «رِزْقٌ» شَابًّا مُدَلَّلًا، لَا يَقْدِرُ عَلَى إِدَارَةِ تِجَارَةٍ، وَلَا يَعْرِفُ الرِّبْحَ مِنَ الْخَسَارَةِ.

وَذَاتَ يَوْمٍ.. قَرَّرَ الْأَبُ أَنْ يُصْلِحَ مَا أَفْسَدَهُ التَّدْلِيلُ، فَاسْتَدْعَى ابْنَهُ، وَقَالَ لَهُ:

- لَقَدْ كَبِرْتَ يَا وَلَدِي وَصِرْتَ شَابًّا قَوِيًّا، وَيَجِبُ أَنْ تَعْتَمِدَ عَلَى نَفْسِكَ، وَتَكْسِبَ قُوتَكَ مِنْ عَمَلِكَ وَعَرَقِكَ.

أَجَابَ الِابْنُ فِي أَسًى:

- لَكِنِّي لَا أُجِيدُ أَيَّ عَمَلٍ يَا أَبِي!

قَالَ الْأَبُ فِي حَزْمٍ:

- يُمْكِنُكَ أَنْ تَبْحَثَ عَنْ مِهْنَةٍ تُحِبُّهَا وَتَتَعَلَّمُهَا.

طَأْطَأَ الِابْنُ رَأْسَهُ إِلَى الْأَرْضِ وَصَمَتَ.. لَمْ يَجِدْ كَلَامًا يَرُدُّ بِهِ عَلَى أَبِيهِ..

وَاصَلَ الْأَبُ كَلَامَهُ، وَقَالَ آمِرًا:

- فِي الصَّبَاحِ اذْهَبْ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَلَا تَعُدْ إِلَى هُنَا إِلَّا وَقَدْ عَمِلْتَ وَكَسَبْتَ دِينَارًا ذَهَبِيًّا.

أَسْرَعَ «رِزْقٌ» إِلَى أُمِّهِ يَشْكُو لَهَا أَبَاهُ، رَبَّتَتْ عَلَيْهِ فِي حَنَانٍ وَقَالَتْ:

- لَا تَحْزَنْ يَا وَلَدِي.

ثُمَّ نَاوَلَتْهُ أُمُّهُ دِينَارًا ذَهَبِيًّا وَقَالَتْ لَهُ:

- اذْهَبْ إِلَى الْمَدِينَةِ وَعُدْ بَعْدَ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ، وَقَدِّمْهُ لِوَالِدِكَ عَلَى أَنَّهُ مِنْ كَسْبِ يَدِكَ!

فَرِحَ «رِزْقٌ» بِدِينَارِ أُمِّهِ، وَأَسْرَعَ إِلَى حُجْرَتِهِ وَنَامَ، وَفِي الصَّبَاحِ، ذَهَبَ إِلَى الْمَدِينَةِ، قَضَى الْيَوْمَ كُلَّهُ يَلْهُو فِي نَوَادِيهَا، وَآخِرَ النَّهَارِ عَادَ إِلَى بَيْتِهِ، ثُمَّ رَاحَ إِلَى وَالِدِهِ وَقَدَّمَ لَهُ الدِّينَارَ الذَّهَبِيَّ وَهُوَ يَقُولُ لَهُ كَاذِبًا:

- تَفَضَّلْ يَا أَبِي.. لَقَدْ عَمِلْتُ كَثِيرًا وَتَعِبْتُ حَتَّى حَصَلْتُ عَلَيْهِ!

نَظَرَ الرَّجُلُ إِلَى وَلَدِهِ، لَمْ يَجِدْ عَلَيْهِ أَيَّ أَثَرٍ مِنْ آثَارِ الْعَمَلِ وَالتَّعَبِ وَالْعَرَقِ.. فَعَرَفَ أَنَّهُ يَكْذِبُ عَلَيْهِ، فَقَذَفَ بِالدِّينَارِ إِلَى جَمَرَاتِ نَارٍ كَانَتْ مُشْتَعِلَةً أَمَامَهُ وَقَالَ لَهُ:

- لَيْسَ هَذَا هُوَ الدِّينَارَ الَّذِي أُرِيدُهُ! اذْهَبْ وَأَحْضِرْ لِيَ الدِّينَارَ الَّذِي أُرِيدُهُ.

لَـمْ يَهْتَـمَّ «رِزْقٌ» بِالدِّينَارِ الَّذِي أَلْقَاهُ وَالِـدُهُ فِي النَّارِ.. رَاحَ إِلَى أُمِّـهِ وَأَخْبَرَهَا بِمَا فَعَلَ أَبُوهُ. نَاوَلَتْهُ دِينَارًا ذَهَبِيًّا جَدِيدًا وَقَالَتْ لَهُ:

ـ اذْهَـبْ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَتَأَخَّرْ هَذِهِ الْمَرَّةَ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً؛ حَتَّى يُصَدِّقَ أَنَّكَ كَسَـبْتَهُ بِعَمَلِكَ وَعَرَقِكَ!

نَـامَ «رِزْقٌ» طَـوَالَ اللَّيْـلِ، لَمْ يُفَكِّرْ فِي عَمَلٍ يَكْسِـبُ مِنْهُ الدِّينَـارَ، فَهُوَ مَعَهُ، وَفِي الصَّبَاحِ، أَسْـرَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ، قَضَى فِيهَا ثَلَاثَةَ أَيَّـامٍ فِي اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ، ثُمَّ عَادَ بَعْدَهَا إِلَى وَالِدِهِ وَقَدَّمَهُ لَهُ وَهُوَ يَقُولُ لَهُ:

ـ تَفَضَّلْ يَا وَالِدِي، ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَأَنَا أَعْمَلُ لَيْلًا وَنَهَارًا حَتَّى كَسَبْتُ هَذَا الدِّينَارَ!

مَـرَّةً ثَانِيَةً، نَظَرَ الْوَالِدُ إِلَى وَلَدِهِ، مَلَابِسُـهُ نَظِيفَةٌ، تَفُـوحُ مِنْهَا الرَّوَائِحُ الْعَطِرَةُ الَّتِي تُحْضِرُهَا لَهُ أُمُّهُ، كَفَّاهُ نَاعِمَتَانِ لَا أَثَرَ لِلْعَمَلِ عَلَيْهِمَا، فَقَذَفَ بِالدِّينَارِ إِلَى جَمْرِ النَّارِ ثَانِيَةً وَهُوَ يَقُولُ:

ـ لَيْسَ هَذَا مَا أُرِيدُ! عَلَيْكَ أَنْ تُحْضِرَ لِي غَيْرَهُ.

سَكَتَ «رِزْقٌ» وَلَمْ يَتَكَلَّمْ، وَانْسَحَبَ مِنْ أَمَامِ وَالِدِهِ صَامِتًا. أَسْرَعَتْ وَالِدَتُهُ تُرَبِّتُ عَلَيْهِ وَتُدَلِّلُهُ وَتُعْطِيهِ الدِّينَارَ الثَّالِثَ!

هَذِهِ الْمَرَّةَ.. رَفَضَ «رِزْقٌ» أَنْ يَأْخُذَ مِنْ أُمِّهِ شَيْئًا، وَاعْتَذَرَ لَهَا؛ فَلَا يَجِبُ أَنْ يَكْذِبَ عَلَى أَبِيهِ، وَذَهَبَ إِلَى حُجْرَتِهِ وَنَامَ مُبَكِّرًا.

فِي الصَّبَاحِ.. وَقَبْلَ أَنْ يَصْحُوَ أَحَدٌ.. صَحَا «رِزْقٌ»، تَسَلَّلَ عَلَى أَطْرَافِ أَصَابِعِهِ، حَتَّى لَا يُوقِظَ أَحَدًا، وَتَوَجَّهَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَرَاحَ يَبْحَثُ فِيهَا عَنْ عَمَلٍ.

لَمْ يَجِدْ «رِزْقٌ» عَمَلًا بِسُهُولَةٍ؛ فَهُوَ لَا يُجِيدُ عَمَلَ أَيِّ شَيْءٍ، وَأَخِيرًا قَبِلَ أَنْ يَعْمَلَ حَمَّالًا فِي السُّوقِ؛ حَتَّى يَكْسِبَ رِزْقَ يَوْمِهِ.

ظَلَّ صَاحِبُنَا شَهْرًا كَامِلًا وَهُوَ يَعْمَلُ فِي السُّوقِ، يَأْخُذُ أَجْرَ يَوْمِهِ، يُنْفِقُ جُزْءًا مِنْهُ عَلَى طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ، وَيَدَّخِرُ الْجُزْءَ الْبَاقِيَ.

وَفِي النِّهَايَةِ.. صَارَ مَعَهُ قِيمَةُ دِينَارٍ ذَهَبِيٍّ، اشْتَرَاهُ وَأَسْرَعَ بِهِ إِلَى وَالِدِهِ.

كَانَ الْوَالِـدُ يَجْلِـسُ أَمَامَ مَوْقِـدِ النَّارِ كَعَادَتِهِ، يُعِدُّ لِنَفْسِـهِ فِنْجَانَ قَهْوَةِ الْمَسَـاءِ، فُوجِئَ بِوَلَدِهِ يَدْخُلُ عَلَيْهِ، وَيُقَدِّمُ لَهُ دِينَارًا ذَهَبِيًّا وَهُوَ يَبْتَسِمُ وَيَقُولُ لَهُ:

- تَفَضَّلْ يَا أَبِي.. أُقْسِمُ إِنِّي كَسَبْتُهُ بِعَرَقِ جَبِينِي.

تَأَكَّدَ الْأَبُ أَنَّ ابْنَهُ بِالْفِعْلِ عَمِلَ وَتَعِبَ وَكَسَبَ قِيمَةَ الدِّينَارِ بِعَرَقِهِ، فَرِحَ بِهِ وَأَرَادَ أَنْ يُدَاعِبَهُ، وَهَمَّ بِأَنْ يُلْقِيَ بِالدِّينَارِ فِي النَّارِ مِثْلَ سَـابِقَيْهِ، لَكِنَّ الِابْنَ سَـارَعَ لِيُمْسِكَ بِيَدِ أَبِيهِ وَقَالَ لَهُ:

- أَرْجُوكَ.. لَقَدْ تَعِبْتُ كَثِيرًا حَتَّى كَسَبْتُهُ.

هَبَّ الْأَبُ وَاقِفًا عَلَى قَدَمَيْهِ، أَخَذَ وَلَدَهُ فِي حِضْنِهِ وَهُوَ يَقُولُ لَهُ:

- الْآنَ صِـرْتَ رَجُـلًا أَعْتَمِـدُ عَلَيْهِ، فَمَنْ جَـاءَهُ الْمَالُ بِجُهْدٍ وَعَـرَقٍ لَا يَهُونُ عَلَيْهِ ضَيَاعُهُ. مِنَ الْغَدِ عَلَيْكَ أَنْ تُبَاشِرَ تِجَارَةَ أَبِيكَ.

الصَّيَّادُ وَاللُّؤْلُؤَةُ

فَتَحَ الصَّيَّادُ بَابَ دَارِهِ وَخَرَجَ يَحْمِلُ شَبَكَةَ صَيْدِهِ عَلَى كَتِفِهِ وَهُوَ يَدْعُو اللهَ أَنْ يَرْزُقَهُ رِزْقًا حَلَالًا طَيِّبًا.

خَرَجَتِ الْعَصَافِيرُ مِنْ أَعْشَاشِهَا وَرَفْرَفَتْ فِي الْهَوَاءِ، وَرَاحَتْ هِيَ الْأُخْرَى تَبْحَثُ عَنْ رِزْقِهَا، صَاحَبَتِ الصَّيَّادَ فِي الطَّرِيقِ قَلِيلًا، ثُمَّ انْتَشَرَتْ فِي الْفَضَاءِ.

وَحِينَ صَعِدَتِ الشَّمْسُ مِنْ خَلْفِ الْجَبَلِ الشَّرْقِيِّ، كَانَ الصَّيَّادُ قَدْ وَصَلَ إِلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ، سَارَ عِدَّةَ خُطُوَاتٍ فِي الْمَاءِ ثُمَّ تَوَقَّفَ، قَذَفَ شَبَكَتَهُ فِي الْهَوَاءِ وَهُوَ يَقُولُ:

- بِسْمِ اللهِ الْغَنِيِّ الرَّزَّاقِ.. الْعَلِيمِ بِحَالِي وَحَالِ عِيَالِي.

رَاقَبَ الصَّيَّادُ شَبَكَتَهُ وَهِيَ تَهْبِطُ إِلَى الْمَاءِ تُغَطِّي مِسَاحَةً كَبِيرَةً مِنْهُ، ثُمَّ وَهِيَ تَغْطِسُ إِلَى الْقَاعِ، انْتَظَرَ قَلِيلًا حَتَّى تَأَكَّدَ أَنَّهَا رَسَتْ عَلَى الرِّمَالِ.. وَبَدَأَ يَسْحَبُهَا

بِهُدُوءٍ شَدِيدٍ وَهُوَ يَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ رِزْقُهُ فِيهَا.

خَرَجَتِ الشَّبَكَةُ مِنَ الْمَاءِ، لَمْ يَجِدْ فِيهَا الصَّيَّادُ غَيْرَ سَمَكَةٍ وَاحِدَةٍ، لَكِنَّهَا كَبِيرَةٌ، تَكْفِي طَعَامَهُ وَطَعَامَ زَوْجَتِهِ وَعِيَالِهِ الْيَوْمَ كُلَّهُ، حَمِدَ اللهَ عَلَى مَا رَزَقَهُ وَحَمَلَ الشَّبَكَةَ وَالسَّمَكَةَ وَعَادَ إِلَى الدَّارِ.

نَاوَلَ الصَّيَّادُ السَّمَكَةَ لِزَوْجَتِهِ، وَطَلَبَ مِنْهَا أَنْ تُعِدَّ الطَّعَامَ، وَعَلَى الْفَوْرِ بَدَأَتِ الزَّوْجَةُ فِي تَنْظِيفِ السَّمَكَةِ، وَلَمْ تَمُرَّ لَحَظَاتٌ حَتَّى سَمِعَهَا وَهِيَ تَصِيحُ فِي فَرَحٍ وَتَقُولُ:

ـ لُؤْلُؤَةٌ كَبِيرَةٌ فِي بَطْنِ السَّمَكَةِ.

أَسْرَعَ الصَّيَّادُ إِلَى زَوْجَتِهِ.. وَجَدَهَا تُمْسِكُ فِي يَدِهَا لُؤْلُؤَةً تَشِعُّ بَرِيقًا أَضَاءَ مَا حَوْلَهَا، أَخَذَ الصَّيَّادُ اللُّؤْلُؤَةَ وَذَهَبَ بِهَا إِلَى التَّاجِرِ الَّذِي ذُهِلَ لِجَمَالِهَا حِينَ رَآهَا، لَكِنَّهُ قَالَ فِي حَسْرَةٍ وَنَدَمٍ:

- لِلْأَسَفِ لَا أَسْتَطِيعُ شِرَاءَهَا، لَيْسَ عِنْدِي مَالٌ يَكْفِي ثَمَنَهَا.

ثُمَّ صَمَتَ قَلِيلًا وَقَالَ لِلصَّيَّادِ نَاصِحًا:

- اذْهَبْ بِهَا إِلَى شَيْخِ التُّجَّارِ.. رُبَّمَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَدْفَعَ لَكَ ثَمَنَهَا.

أَخَذَ الصَّيَّادُ اللُّؤْلُؤَةَ وَرَاحَ بِهَا إِلَى شَيْخِ التُّجَّارِ، الَّذِي كَادَتْ عَيْنَاهُ تَخْرُجَانِ مِنْ وَجْهِهِ حِينَ رَآهَا، لَكِنَّهُ قَالَ فِي نَدَمٍ:

- لِلْأَسَفِ.. لَا يَقْدِرُ عَلَى ثَمَنِ هَذِهِ اللُّؤْلُؤَةِ إِلَّا الْمَلِكُ.

ذَهَبَ الصَّيَّادُ إِلَى قَصْرِ الْمَلِكِ، أَخْبَرَ الْحُرَّاسَ أَنَّ مَعَهُ لُؤْلُؤَةً ثَمِينَةً لَا يَقْدِرُ عَلَى ثَمَنِهَا إِلَّا هُوَ.. وَيُرِيدُ أَنْ يَعْرِضَهَا عَلَيْهِ، سَمَحُوا لَهُ بِالدُّخُولِ.

حِينَ وَقَفَ الصَّيَّادُ أَمَامَ الْمَلِكِ، أَمْسَكَ بِاللُّؤْلُؤَةِ فِي يَدِهِ وَقَدَّمَهَا لَهُ وَهُوَ وَيَقُولُ:

- لَا أَحَدَ يَقْدِرُ عَلَى ثَمَنِ هَذِهِ إِلَّا مَوْلَايَ.

أَمْسَكَ الْمَلِكُ اللُّؤْلُؤَةَ فِي يَدِهِ، بَهَرَهُ جَمَالُهَا، فَقَرَّرَ أَنْ يَشْتَرِيَهَا، وَقَالَ لِلصَّيَّادِ:

- ادْخُلْ إِلَى خَزِينَتِي، أَمَامَكَ سَاعَةٌ تَأْخُذُ مِنْهَا مَا تَقْدِرُ عَلَى حَمْلِهِ مِنَ الْأَمْوَالِ.

دَخَلَ الصَّيَّادُ خَزِينَةَ الْمَلِكِ، وَأَغْلَقَ الْحُرَّاسُ الْبَابَ عَلَيْهِ، وَهُمْ يُذَكِّرُونَهُ بِأَنَّ وَقْتَهُ فِي الدَّاخِلِ سَاعَةٌ وَاحِدَةٌ. صَارَ الصَّيَّادُ وَحِيدًا، رَاحَ يَنْظُرُ إِلَى الْأَشْيَاءِ الْمَوْجُودَةِ بِالْخَزِينَةِ، رُكْنٌ فِيهِ أَكْوَامٌ مِنَ الذَّهَبِ وَالْيَاقُوتِ وَالْمَرْجَانِ، وَرُكْنٌ فِيهِ سَرِيرٌ مَفْرُوشٌ بِالْحَرِيرِ، وَرُكْنٌ فِيهِ مِنَ الطَّعَامِ كُلُّ مَا لَذَّ وَطَابَ!

وَكُلُّ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ تُنَادِيهِ أَنْ يَذْهَبَ إِلَيْهَا.

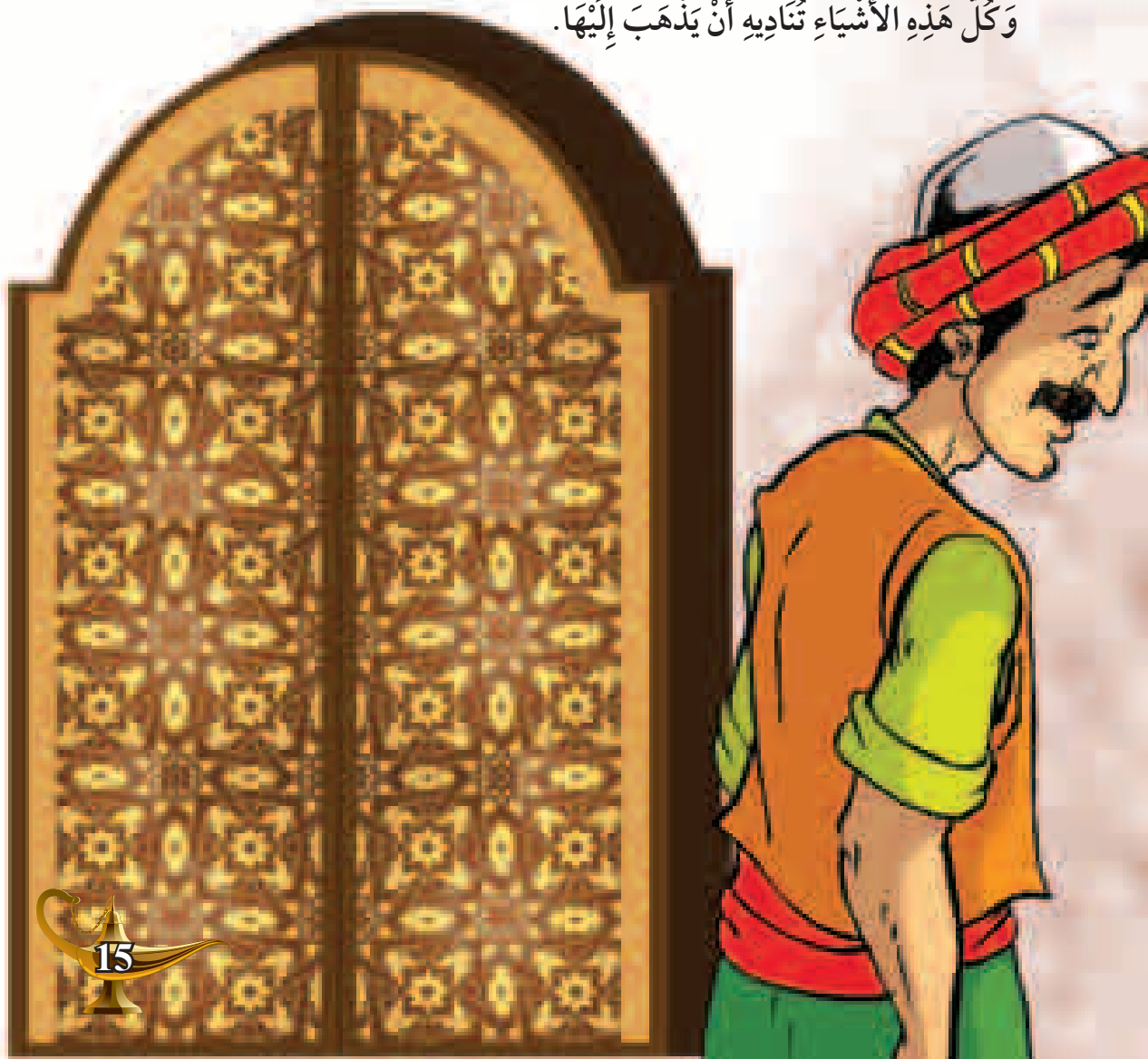

نَظَرَ الصَّيَّادُ إِلَى الطَّعَامِ، فَصَرَخَتْ مَعِدَتُهُ مِنَ الْجُوعِ. رَاحَ يَتَعَجَّبُ مِنْ جَمَالِ السَّرِيرِ وَالْفَرْشِ الْحَرِيرِ الَّذِي عَلَيْهِ، طَلَبَ جَسَدُهُ الرَّاحَةَ بَعْدَ التَّعَبِ الَّذِي لَقِيَهُ طُولَ النَّهَارِ، نَظَرَتْ عَيْنَاهُ نَاحِيَةَ الذَّهَبِ وَالْمُجَوْهَرَاتِ فَتَذَكَّرَ كَمْ هُوَ فَقِيرٌ وَفِي حَاجَةٍ إِلَى الْمَالِ. إِذَنْ فَهُوَ يُرِيدُ كُلَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، يُرِيدُ أَنْ يَأْكُلَ حَتَّى يَشْبَعَ، وَيُرِيدُ أَنْ يُرِيحَ جَسَدَهُ مِنَ التَّعَبِ، وَأَنْ يَأْخُذَ مَا يُغْنِيهِ هُوَ وَعِيَالُهُ مِنَ الْمَالِ.

قَرَّرَ الصَّيَّادُ أَنْ يَأْكُلَ أَوَّلًا؛ فَالْجَائِعُ لَا يُفَكِّرُ جَيِّدًا، وَحِينَ يَشْبَعُ سَيَكُونُ قَادِرًا عَلَى حَمْلِ كَمِّيَّةٍ أَكْبَرَ مِنَ الذَّهَبِ، ثُمَّ يَذْهَبُ إِلَى دَارِهِ لِيَرْتَاحَ هُنَاكَ.

أَسْرَعَ إِلَى رُكْنِ الْمَأْكُولَاتِ وَالْمَشْرُوبَاتِ، شَاهَدَ أَصْنَافًا لَمْ يَرَ مِثْلَهَا مِنْ قَبْلُ، تَفُوحُ مِنْهَا الرَّوَائِحُ الَّتِي تَجْعَلُ الشَّبْعَانَ يَجُوعُ، جَلَسَ يَأْكُلُ مَا لَمْ تَرَهُ عَيْنَاهُ مِنْ قَبْلُ.. وَمَا لَمْ يَعْرِفِ اسْمَهُ! أَكَلَ حَتَّى شَبِعَ حَتَّى إِنَّهُ حِينَ هَمَّ بِالْوُقُوفِ لَمْ يَقْدِرْ! فَاسْتَعَانَ بِسَاعِدَيْهِ لِيُسَاعِدَا سَاقَيْهِ حَتَّى وَقَفَ.

شَعَرَ أَنَّهُ غَيْرُ قَادِرٍ عَلَى التَّنَفُّسِ؛ فَلَمْ يَتْرُكْ فَرَاغًا فِي بَطْنِهِ. نَادَاهُ السَّرِيرُ لِيَتَمَدَّدَ قَلِيلًا حَتَّى يَرْتَاحَ، قَالَ لِنَفْسِهِ:

- سَأَرْتَاحُ قَلِيلًا.. مَا زَالَ أَمَامِي وَقْتٌ فَالسَّاعَةُ لَمْ تَنْتَهِ بَعْدُ، وَأَنَا إِذَا ارْتَحْتُ فَسَأَكُونُ قَادِرًا عَلَى حَمْلِ الْكَثِيرِ مِنَ الْمَالِ.

وَبِالْفِعْلِ.. تَمَدَّدَ الصَّيَّادُ عَلَى السَّرِيرِ الْمَفْرُوشِ بِالْحَرِيرِ فَنَامَ، وَلَمْ يَشْعُرْ بِالْوَقْتِ وَهُوَ يَمُرُّ عَلَيْهِ، لَمْ يَشْعُرْ إِلَّا بِالْحُرَّاسِ وَهُمْ يُوقِظُونَهُ، فَالسَّاعَةُ قَدْ مَرَّتْ وَالْمُهْلَةُ قَدِ انْتَهَتْ!!

صَحَا الصَّيَّادُ مَذْعُورًا.. حَاوَلَ أَنْ يُسْرِعَ نَاحِيَةَ الذَّهَبِ، لَكِنَّ الْحُرَّاسَ مَنَعُوهُ، فَلَمْ يَعُدْ هُنَاكَ وَقْتٌ! وَخَرَجُوا بِهِ مِنْ خَزِينَةِ الْمَلِكِ دُونَ أَنْ يَأْخُذَ شَيْئًا!!

وَخَسِـرَ الصَّيَّـادُ لُؤْلُؤَتَـهُ. لَوْ فَكَّرَ جَيِّـدًا، وَأَخَذَ مِـنَ الذَّهَبِ مَا يَقْـدِرُ عَلَى حَمْلِهِ وَخَرَجَ مِنَ الْبِدَايَةِ، لَكَانَ اسْـتَطَاعَ أَنْ يَبْنِيَ بَيْتًا وَيَشْتَرِيَ سَرِيرًا وَيَأْكُلَ كُلَّ مَا يُرِيدُ.. لَكِنَّهُ لَمْ يُفَكِّرْ.. وَخَسِرَ كُلَّ شَيْءٍ.

الْحَطَّابُ الصَّغِيرُ

زَمَانٌ.. فِي ذَلِكَ الزَّمَنِ الَّذِي فَاتَ، وَفِي مَكَانٍ بَعِيدٍ عَنْ بُيُوتِ الْمَدِينَةِ، وَعَلَى أَطْرَافِ الصَّحْرَاءِ، كَانَ هُنَاكَ بَيْتٌ جُدْرَانُهُ مِنْ سَعَفِ النَّخِيلِ، وَسَقْفُهُ مِنْ فُرُوعِ الشَّجَرِ وَالْأَعْشَابِ، تَعِيشُ فِيهِ أَرْمَلَةٌ فَقِيرَةٌ، مَعَ وَلَدِهَا الصَّغِيرِ «أَحْمَدَ».

كَانَ وَالِدُ «أَحْمَدَ» يَعْمَلُ حَطَّابًا، لَا يَمْلِكُ فِي الدُّنْيَا شَيْئًا سِوَى هَذَا الْبَيْتِ، وَفَأْسٍ وَمِنْشَارٍ وَحَبْلٍ. وَبَعْدَ رَحِيلِهِ، صَارَتِ الْأُمُّ تَعْمَلُ فِي جَمْعِ الْحَطَبِ مِنَ الصَّحْرَاءِ، تَذْهَبُ بِهِ إِلَى السُّوقِ، تَبِيعُهُ وَتَشْتَرِي بِثَمَنِهِ طَعَامًا لَهَا وَلِابْنِهَا الصَّغِيرِ، وَتَعُودُ مُجْهَدَةً آخِرَ النَّهَارِ، لِتَنَامَ حَتَّى الصَّبَاحِ، ثُمَّ تَخْرُجَ ثَانِيَةً تَبْحَثُ عَنْ رِزْقِهَا، وَرِزْقِ ابْنِهَا.

وَلَمَّا كَبِرَ «أَحْمَدُ» وَصَارَ صَبِيًّا قَادِرًا عَلَى الِاعْتِمَادِ عَلَى نَفْسِهِ، قَالَ لِأُمِّهِ:

ـ أُرِيدُ أَنْ أَعْمَلَ يَا أُمِّي حَتَّى تَرْتَاحِي.

قَالَتِ الْأُمُّ فِي حَنَانٍ:

ـ يَا وَلَدِي أَنْتَ مَا زِلْتَ صَغِيرًا.

قَالَ «أَحْمَدُ» فِي جِدِّيَّةٍ:

ـ لَا يَا أُمِّي.. يَكْفِي مَا بَذَلْتِهِ مِنْ جُهْدٍ مِنْ أَجْلِي. لَقَدْ صِرْتُ قَادِرًا عَلَى الْعَمَلِ.

سَأَلَتْهُ الْأُمُّ وَقَالَتْ:

ـ وَمَاذَا تُرِيدُ أَنْ تَعْمَلَ؟

ـ سَوْفَ أَعْمَلُ عَمَلَ أَبِي.

أَشْفَقَتِ الْأُمُّ عَلَى ابْنِهَا؛ فَعَمَلُ الْحَطَّابِ صَعْبٌ وَشَاقٌّ، وَ«أَحْمَدُ» مَا زَالَ صَبِيًّا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ.

وَلَكِنَّ «أَحْمَدَ» أَرَادَ أَنْ يَكُونَ مِثْلَ أَبِيهِ، وَلِهَذَا فَقَطْ وَافَقَتِ الْأُمُّ عَلَى أَنْ يُجَرِّبَ يَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ؛ لِيَكْتَشِفَ بِنَفْسِهِ أَنَّ هَذَا عَمَلٌ شَاقٌّ، وَأَنَّ عَلَيْهِ أَنْ يُفَكِّرَ فِي عَمَلٍ آخَرَ.

وَفِي الصَّبَاحِ.. حَمَلَ «أَحْمَدُ» الْفَأْسَ وَالْمِنْشَارَ وَالْحِبَالَ وَخَرَجَ إِلَى الصَّحْرَاءِ، يَبْحَثُ عَنِ الْحَطَبِ وَالْأَعْشَابِ الْجَافَّةِ يَجْمَعُهَا. وَفِي النِّهَايَةِ، اسْتَطَاعَ أَنْ يَجْمَعَ ثَلَاثَ كَوْمَاتٍ كَبِيرَةٍ، رَبَطَهَا بِالْحَبْلِ، وَحَمَلَهَا لِيَبِيعَهَا فِي السُّوقِ.

عَلَى الْبُعْدِ، رَأَى «أَحْمَدُ» خَطًّا أَسْوَدَ عَلَى الْأَرْضِ، وَحِينَ اقْتَرَبَ مِنْهُ اكْتَشَفَ أَنَّهُ جِذْعُ نَخْلَةٍ جَافٌّ، وَبِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّ حِمْلَهُ ثَقِيلٌ، لَكِنَّهُ قَرَّرَ أَنْ يَشُقَّ هَذَا الْجِذْعَ إِلَى نِصْفَيْنِ، وَيَأْخُذَهُ مَعَهُ إِلَى السُّوقِ آمِلًا أَنْ يَبِيعَهُ بِمَبْلَغٍ كَبِيرٍ مِنَ الْمَالِ.

وَضَعَ «أَحْمَدُ» الْحَطَبَ وَالْأَعْشَابَ عَلَى الْأَرْضِ، وَاقْتَرَبَ مِنْ جِذْعِ النَّخْلَةِ، أَمْسَكَ فَأْسَهُ مِنْ طَرَفِ يَدِهَا الْخَشَبِيَّةِ، وَرَفَعَ رَأْسَهَا الْحَدِيدِيَّ عَالِيًا، وَبِكُلِّ مَا عِنْدَهُ

مِـنْ قُوَّةٍ.. نَـزَلَ بِهَا عَلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ، ثُـمَّ رَفَعَهَا ثَانِيَةً فِي الْهَوَاءِ، وَقَبْـلَ أَنْ يَنْزِلَ بِهَا سَمِعَ صَوْتًا يَقُولُ لَهُ:

ـ مَاذَا تَفْعَلُ يَا وَلَدُ؟

أَجَابَ «أَحْمَدُ» وَالرَّأْسُ الْحَدِيدِيُّ لِلْفَأْسِ فِي طَرِيقِهِ لِجِذْعِ النَّخْلَةِ قَائِلًا:

ـ أَشُقُّ جِذْعَ النَّخْلَةِ حَتَّى أَبِيعَهُ فِي السُّوقِ، وَأَشْتَرِيَ طَعَامًا لِي وَلِوَالِدَتِي.

قَالَ الصَّوْتُ:

ـ لَا تُتْعِبْ نَفْسَكَ!

اعْتَدَلَ «أَحْمَدُ» وَقَالَ مُتَحَفِّزًا:

ـ إِنْ لَمْ أُتْعِبْ نَفْسِي فَمِنْ أَيْنَ نَأْكُلُ أَنَا وَأُمِّي؟

رَدَّ الصَّوْتُ وَقَالَ:

ـ سَأُعْطِيكَ شَيْئًا يُغْنِيكَ عَنْ جَمْعِ الْحَطَبِ وَعَنْ كُلِّ شَيْءٍ!

مِـنْ تَجْوِيـفِ جِـذْعِ النَّخْلَةِ، خَرَجَ بِسَـاطُ طَعَامٍ مُزَيَّنٌ بِرُسُـومِ كُلِّ أَنْـوَاعِ الطَّيْرِ وَالْحَيَوَانِ وَالْأَشْـجَارِ، وَكَذَلِـكَ كُلِّ أَنْوَاعِ الْفَاكِهَةِ وَالثِّمَارِ، وَطَـارَ فِي الْهَوَاءِ حَتَّى اسْتَقَرَّ بَيْنَ يَدَيْ «أَحْمَدَ»، وَجَاءَهُ الصَّوْتُ مِنْ تَجْوِيفِ جِذْعِ النَّخْلَةِ يَقُولُ لَهُ:

- حِينَ تَكُونُ فِي بَيْتِكَ.. مَا عَلَيْكَ إِلَّا أَنْ تَفْرِدَ الْبِسَاطَ وَتَأْمُرَهُ أَنْ يُحْضِرَ لَكَ مَا تَشْتَهِيهِ مِنَ الطَّعَامِ.

فَكَّرَ «أَحْمَدُ» فِي كُلِّ أَنْوَاعِ الطَّعَامِ الَّتِي كَانَ يَرَاهَا فِي السُّـوقِ مَعَ أُمِّهِ وَلَا تَسْـتَطِيعُ أَنْ تَشْـتَرِيَهَا لَهُ، نَسِـيَ مَا جَمَعَهُ مِنَ الْحَطَبِ، وَنَسِيَ حِبَالَهُ وَفَأْسَهُ وَمِنْشَارَهُ، وَأَسْرَعَ إِلَى أُمِّـهِ. وَلَحْظَـةَ أَنْ دَخَـلَ عَلَيْهَا الْكُوخَ، وَقَفَتْ تَسْـتَقْبِلُهُ لِتُعِدَّ لَهُمَـا مَا جَاءَ بِهِ مِنْ طَعَامٍ، لَكِنَّهَا فُوجِئَتْ بِهِ يَحْمِلُ بِسَاطًا، فَصَاحَتْ فِيهِ:

- أَيْنَ الطَّعَامُ يَا وَلَدِي؟ وَأَيْنَ حِبَالُكَ وَفَأْسُكَ وَمِنْشَارُكَ؟

فَرَدَ «أَحْمَدُ» الْبِسَاطَ عَلَى الْأَرْضِ، وَأَمْسَكَ بِيَدِ أُمِّهِ وَأَجْلَسَهَا، وَجَلَسَ بِجَانِبِهَا، وَقَالَ:

ـ نُرِيدُ طَعَامًا لَمْ نَأْكُلْهُ فِي حَيَاتِنَا.

امْتَلَأَ الْبِسَاطُ بِالْخُبْزِ وَاللُّحُومِ الْمُحَمَّرَةِ وَالْأُرْزِ وَكُلِّ أَنْوَاعِ الْفَاكِهَةِ!

هَبَّتِ الْأُمُّ وَاقِفَةً تَبْتَعِدُ عَنِ الطَّعَامِ، وَهِيَ تَقُولُ:

ـ لَا نَأْكُلُ مِنْ هَذَا الطَّعَامِ.

صَمَتَ «أَحْمَدُ» وَلَمْ يَعْرِفْ مَاذَا يَقُولُ. لَقَدْ ظَنَّ أَنَّ أُمَّهُ سَتَفْرَحُ حِينَ يُقَدِّمُ لَهَا مَا حَرَمَهَا مِنْهُ الْفَقْرُ، وَهَا هِيَ تَرْفُضُ، أَتَاهُ صَوْتُهَا آمِرًا يَقُولُ:

ـ لَا نَأْكُلُ إِلَّا طَعَامًا تَعِبْتَ وَعَرِقْتَ حَتَّى حَصَلْتَ عَلَيْهِ.

اخْتَفَى الطَّعَامُ مِنْ فَوْقِ الْبِسَاطِ، فَأَخَذَهُ «أَحْمَدُ» وَأَسْرَعَ خَارِجًا، ظَلَّ يَجْرِي حَتَّى وَصَلَ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ، وَجَدَ أَكْوَامَ الْحَطَبِ الثَّلَاثَةَ كَمَا هِيَ، وَوَجَدَ فَأْسَهُ وَحِبَالَهُ وَمِنْشَارَهُ، تَرَكَ الْبِسَاطَ وَأَخَذَ حَاجَاتِهِ، وَحَمَلَ كَوْمَاتِ الْحَطَبِ وَذَهَبَ بِهَا إِلَى السُّوقِ لِيَبِيعَهَا، وَيَشْتَرِيَ بِثَمَنِهَا طَعَامًا لَهُ وَلِأُمِّهِ.

التَّمْرُ الَّذِي صَارَ حَجَرًا

زَمَـانٌ.. فِي ذَلِكَ الزَّمَـنِ الَّذِي فَاتَ، كَانَتْ هُنَـاكَ مَدِينَةٌ بِهَا سُـوقٌ لِلتَّمْرِ، وَكَانَ بِالسُّـوقِ مَحَلَّاتٌ كَثِيرَةٌ، كُلُّ مَحَلٍّ يَعْرِضُ لِزَبَائِنِهِ أَنْوَاعًا مُخْتَلِفَةً مِنَ التُّمُورِ، مِنْهَا الْغَالِي وَمِنْهَا الرَّخِيصُ، وَكُلُّ زَبُونٍ يَشْتَرِي مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ.

وَفِي يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ هَذَا الزَّمَانِ.. وَحِينَ أَشْـرَقَتِ الشَّـمْسُ، خَرَجَ تُجَّارُ التُّمُورِ مِنْ بُيُوتِهِـمْ، وَفَتَحُوا أَبْوَابَ مَحَلَّاتِهِمْ، وَأَخْرَجُـوا أَجْوِلَةَ التَّمْرِ مِنَ الْمَخَازِنِ وَرَصُّوهَا أَمَـامَ الْأَبْـوَابِ، وَهُـمْ يَدْعُونَ اللهَ أَنْ يَرْزُقَهُـمْ رِزْقًا حَلَالًا طَيِّبًـا. وَأَخِيرًا جَلَسَ كُلٌّ مِنْهُمْ عَلَى بَابِ دُكَّانِهِ يَنْتَظِرُ رِزْقَهُ.

بَـدَأَ الزَّبَائِـنُ يَدْخُلُونَ السُّـوقَ، وَيَنْتَشِـرُونَ عَلَى الْمَحَـلَّاتِ يَنْتَقُونَ مَـا يُرِيدُونَ،

يَشْتَرُونَ وَيَخْرُجُونَ، وَكَانَ مِنْ بَيْنِ هَؤُلَاءِ الزَّبَائِنِ شَقِيقَانِ، دَارَا عَلَى كُلِّ الْمَحَلَّاتِ، وَاخْتَارَا مَحَلًّا اشْتَرَيَا مِنْهُ جُوَالَيْنِ، وَدَفَعَا لِصَاحِبِهِ ثَمَنَهُمَا وَقَالَا لَهُ:

- هَلْ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَتْرُكَ بَلَحَنَا عِنْدَكَ حَتَّى نَقْضِيَ بَعْضَ الْمَصَالِحِ فِي الْمَدِينَةِ؟

قَالَ التَّاجِرُ:

- بِكُلِّ سُرُورٍ.

رَفَعَ التَّاجِرُ الْجُوَالَيْنِ وَوَضَعَهُمَا فِي الْمَخْزَنِ؛ حَتَّى لَا يَنْسَى وَيَبِيعَهُمَا؛ فَقَدْ صَارَا أَمَانَةً لَدَيْهِ. وَرَاحَ الشَّقِيقَانِ إِلَى حَيْثُ يُرِيدَانِ.

وَمَرَّ وَقْتٌ طَوِيلٌ، لَمْ يَأْتِ فِيهِ الشَّقِيقَانِ لِيَأْخُذَا مَا اشْتَرَيَاهُ مِنَ الْبَلَحِ. وَحَدَثَ لِلتَّاجِرِ أَمْرٌ اضْطَرَّهُ لِلْخُرُوجِ مِنَ السُّوقِ، فَتَرَكَ ابْنَهُ مَكَانَهُ وَرَاحَ لِحَالِهِ، بَعْدَ أَنْ أَخْبَرَهُ

بِجُوَالَيِ التَّمْرِ اللَّذَيْنِ بَاعَهُمَا، وَوَضَعَهُمَا أَمَانةً فِي الْمَخْزَنِ حَتَّى يَأْتِيَ صَاحِبَاهُمَا.

جَلَسَ الِابْنُ مَكَانَ أَبِيهِ، وَكَانَ أَمِينًا فِي بَيْعِهِ مِثْلَهُ، لَمْ يَرْفَعْ سِعْرًا وَلَمْ يَغُشَّ فِي الْكَيْلِ أَوِ الْمِيزَانِ، وَالنَّاسُ تَشْتَرِي مِنْهُ وَهُمْ مُطْمَئِنُّونَ لِأَمَانَتِهِ كَمَا هُمْ مُطْمَئِنُّونَ لِأَمَانَةِ وَالِدِهِ، وَكُلُّهُمْ يَدْعُونَ لَهُ بِالنَّجَاحِ، وَيَتَوَقَّعُونَ أَنْ يَكُونَ كَبِيرًا لِلتُّجَّارِ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ.

وَبَيْنَمَا الِابْنُ مَشْغُولٌ فِي الْبَيْعِ لِزَبَائِنِهِ وَإِرْضَائِهِمْ، جَاءَهُ الشَّقِيقَانِ اللَّذَانِ اشْتَرَيَا الْبَلَحَ مِنْ وَالِدِهِ، وَأَخْبَرَاهُ بِأَنَّهُمَا اشْتَرَيَا جُوَالَيْنِ مِنَ الْبَلَحِ وَتَرَكَاهُمَا أَمَانَةً لَدَيْهِ.

صَحِبَ التَّاجِرُ الصَّغِيرُ الْأَخَ الصَّغِيرَ إِلَى الْمَخْزَنِ وَقَالَ لَهُ:

- احْمِلْ مَا اشْتَرَيْتُمَاهُ، فَأَنْتَ تَعْرِفُهُمَا.

زَاغَتْ عَيْنَا الْأَخِ الصَّغِيرِ عَلَى أَجْوِلَةِ الْبَلَحِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي بِالْمَخْزَنِ، اخْتَارَ جُوَالَيْنِ مَمْلُوءَيْنِ بِبَلَحٍ أَفْضَلَ مِنَ الَّذِي اشْتَرَاهُ هُوَ وَأَخُوهُ.. أَشَارَ إِلَيْهِمَا وَقَالَ:

- هَذَانِ هُمَا.

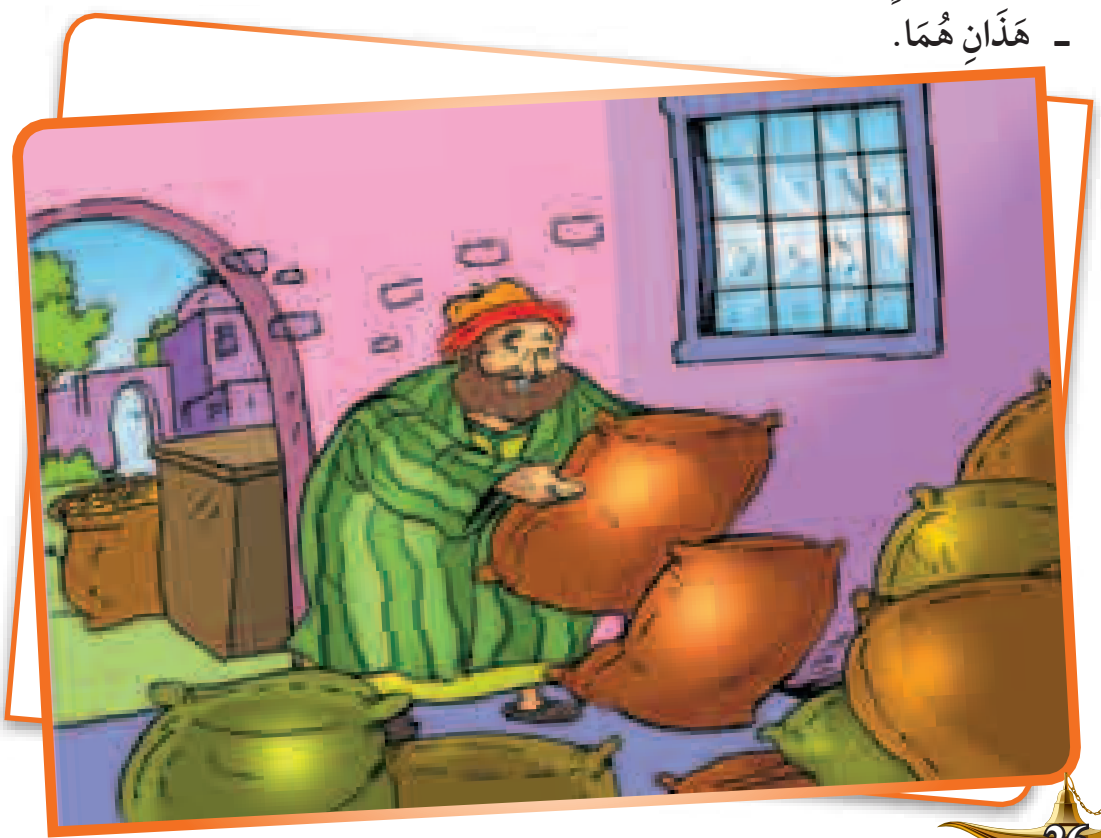

قَالَ التَّاجِرُ الصَّغِيرُ:

ـ أَنْتَ وَأَمَانَتُكَ، احْمِلْهُمَا.

سَاعَدَ التَّاجِرُ الْمُشْتَرِيَ وَخَرَجَا بِجُوَالَيِ الْبَلَحِ مِنَ الْمَخْزَنِ، وَكَانَ الْأَخُ الْكَبِيرُ قَدْ أَحْضَرَ حِمَارَهُمَا، فَوَضَعَاهُمَا عَلَى ظَهْرِهِ، ثُمَّ شَكَرَا التَّاجِرَ وَغَادَرَا السُّوقَ، وَأَخَذَا طَرِيقَ الْعَوْدَةِ إِلَى بَلَدِهِمَا.

سَارَ الْحِمَارُ أَمَامَ أَصْحَابِهِ، فَمِنَ الظُّلْمِ أَنْ يَرْكَبَا فَوْقَ جُوَالَيِ الْبَلَحِ عَلَى ظَهْرِ الْحِمَارِ، وَمِنَ الْعَيْبِ أَنْ يَرْكَبَ أَحَدُهُمَا وَيَسِيرَ الْآخَرُ، وَكَانَ الرَّأْيُ الصَّحِيحُ أَنْ يَسِيرَا خَلْفَ الْحِمَارِ.

كَانَ الْأَخُ الصَّغِيرُ الَّذِي بَدَّلَ الْبَلَحَ يَشْعُرُ بِالزَّهْوِ؛ فَهُوَ عَائِدٌ إِلَى بَيْتِهِ بِبَلَحٍ غَالٍ لَمْ يَدْفَعْ فِيهِ الْكَثِيرَ، وَلَمْ يُفَكِّرْ قَطُّ بِأَنَّهُ غَشَّ التَّاجِرَ وَأَخَذَ بَلَحًا غَيْرَ الَّذِي اشْتَرَيَاهُ وَدَفَعَا ثَمَنَهُ، وَلَمْ يُفَكِّرِ الْأَخُ الْكَبِيرُ أَنَّ أَخَاهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ أَبَدًا. وَوَاصَلَا طَرِيقَهُمَا وَكُلٌّ مِنْهُمَا يُفَكِّرُ فِي أَمْرٍ خَاصٍّ بِهِ.

حِيـنَ عَادَ التَّاجِرُ الْكَبِيرُ إِلَى دُكَّانِهِ، أَخْبَـرَهُ ابْنُهُ عَنْ جُوَالَيِ الْبَلَحِ اللَّذَيْنِ أَعْطَاهُمَا لِلشَّـقِيقَيْنِ، أَدْرَكَ التَّاجِـرُ أَنَّهُمَـا قَدْ غَشَّـا ابْنَهُ. لَحَظَـاتٍ وَتَرَاجَعَ عَـنِ اتِّهَامِ النَّاسِ بِالْغِشِّ، وَرَاحَ يَدْعُو اللهَ وَيَقُولُ:

- إِلَهِي.. إِنْ كَانَا قَدْ بَدَّلَا الْبَلَحَ بِالْخَطَإِ فَهَنِّئْهُمَا بِهِ، وَإِنْ كَانَا قَدْ بَدَّلَاهُ عَنْ قَصْدٍ فَلَا تُبَارِكْ لَهُمَا فِيهِ.

لَاحَظَ الشَّـقِيقَانِ أَنَّ الْحِمَارَ بَدَأَ يَتَبَاطَأُ فِي مِشْيَتِهِ، صَاحَ فِيهِ الشَّقِيقُ الصَّغِيرُ يَحُثُّهُ عَلَى الْحَرَكَةِ، وَهَمَّ بِضَرْبِهِ بِعَصًا رَفِيعَةٍ فِي يَدِهِ، لَكِنَّ أَخَاهُ مَنَعَهُ وَقَالَ لَهُ:

- ضَعْ نَفْسَكَ مَكَانَهُ.. هَلْ كُنْتَ تَقْبَلُ أَنْ يَضْرِبَكَ أَحَدٌ؟!

لَـمْ يَـرُدَّ الْأَخُ الصَّغِيرُ عَلَى السُّـؤَالِ، وَزَادَ تَبَاطُـؤُ الْحِمَارِ فِي مِشْـيَتِهِ حَتَّى لَمْ يَعُدْ قَادِرًا عَلَى الْحَرَكَةِ، وَانْثَنَتْ أَرْجُلُهُ مِنْ ثِقَلِ الْجُوَالَيْنِ عَلَى ظَهْرِهِ وَوَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ!

أَسْـرَعَ الشَّـقِيقَانِ كُلٌّ مِنْهُمَا يُحَـاوِلُ رَفْعَ جُوَالٍ مِنْ فَوْقِ ظَهْـرِ الْحِمَارِ، فَفُوجِئَا

بِهِمَا ثَقِيلَيْنِ لِدَرَجَةِ أَنَّهُمَا تَعَاوَنَا عَلَى حَمْلِهِمَا الْوَاحِدَ بَعْدَ الْآخَرِ. وَوَقَفَا يَتَعَجَّبَانِ..

مَاذَا جَرَى لِلْبَلَحِ حَتَّى يَصِيرَ ثَقِيلًا هَكَذَا؟

فَتَحَ الْأَخُ الْكَبِيرُ فُوَّهَةَ أَحَدِ الْجُوَالَيْنِ فَكَانَتِ الْمُفَاجَأَةُ، وَصَرَخَ يَقُولُ:

- لَقَدْ تَحَوَّلَ التَّمْرُ إِلَى حِجَارَةٍ!!

طَأْطَأَ الْأَخُ الصَّغِيرُ رَأْسَهُ إِلَى الْأَرْضِ، وَقَالَ آسِفًا:

- أَنَا السَّبَبُ.

صَاحَ الْكَبِيرُ وَقَالَ:

- مَاذَا فَعَلْتَ؟

قَالَ الصَّغِيرُ نَادِمًا:

- لَقَدْ غَشَشْتُ التَّاجِرَ الصَّغِيرَ، وَدَلَّلْتُهُ عَلَى جُوَالَيْنِ فِيهِمَا بَلَحٌ أَحْسَنُ مِنَ الَّذِي اشْتَرَيْنَاهُ. فَبَدَّلَهُ اللهُ حَجَرًا عِقَابًا لَنَا.

«جُحَا» النَّجْدِيُّ وَالتَّمْرُ

زَمَـانٌ، فِي ذَلِكَ الزَّمَنِ الَّذِي فَاتَ، وَفِي مِنْطَقَةِ نَجْدٍ بِالْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّـعُودِيَّةِ، كَانَ النَّـاسُ الَّذِيـنَ يَعِيشُـونَ فِي الصَّحْرَاءِ، يَسْـكُنُونَ فِي بُيُـوتٍ يَصْنَعُونَهَـا مِنْ وَبَرِ الْجِمَالِ وَصُوفِ الْغَنَمِ. أَمَّا فِي الْقُرَى فَكَانُوا يَسْـكُنُونَ فِي بُيُوتٍ يَبْنُونَهَا بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الطُّوبِ الَّذِي يَصْنَعُونَهُ بِأَنْفُسِـهِمْ مِنَ الطِّينِ، وَيَجْعَلُونَ سَـقْفَهَا مِنْ جُذُوعِ النَّخِيلِ وَسَعْفَاتِهَا. وَكَانُوا يَرْكَبُونَ الْخَيْلَ وَالْجِمَالَ وَالْحَمِيرَ فِي تَنَقُّلَاتِهِمْ.

وَفِي وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ الْقُرَى.. عَاشَ «جُحَا بْنُ عَلِيٍّ».

فِي هَذَا الزَّمَانِ.. كَانَ التَّمْرُ وَاللَّبَنُ هُمَا الْغِذَاءَ الرَّئِيسِيَّ لِسَاكِنِي الصَّحْرَاءِ كُلِّهِمْ، وَكَانَ كُلُّ بَيْـتٍ يَضَعُ فِي مَخْزَنِهِ عِدَّةَ أَجْوِلَةٍ مِنَ التَّمْرِ خَزِينًا لِفَصْلِ الشِّـتَاءِ. وَهَكَذَا فَعَلَتْ أُمُّ «جُحَا».. فَقَدْ قَامَتْ بِتَخْزِينِ عِدَّةِ أَجْوِلَةٍ مِنَ التَّمْرِ لِفَصْلِ الشِّتَاءِ.

كَانَ «جُحَا» قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ دَارِهِ، يَمْلَأُ جُيُوبَ جِلْبَابِهِ بِالتَّمْرِ، وَيَرْكَبُ سَعْفَةَ النَّخِيلِ الَّتِي يَتَوَهَّمُ أَنَّهَا فَرَسُهُ، وَيَدُورُ فِي الشَّوَارِعِ مَعَ أَصْحَابِهِ الصِّغَارِ، وَحِينَ يَتْعَبُونَ، يَجْلِسُونَ لِيَسْتَرِيحُوا، وَيُوَزِّعَ عَلَيْهِمْ كُلَّ مَا مَعَهُ مِنْ تَمْرٍ.

وَذَاتَ يَوْمٍ، ذَهَبَتْ أُمُّ «جُحَا» لِتَتَفَقَّدَ أَجْوِلَةَ التَّمْرِ، فَوَجَدَتْهَا قَدْ نَقَصَتْ كَثِيرًا، فَخَافَتْ أَنْ يَنْفَدَ وَالشِّتَاءُ عَلَى الْأَبْوَابِ، فَرَاحَتْ إِلَى «جُحَا» وَادَّعَتْ أَنَّهَا غَاضِبَةٌ عَلَيْهِ، وَصَاحَتْ فِيهِ تُحَذِّرُهُ وَتَقُولُ:

ـ إِيَّاكَ أَنْ تَأْخُذَ مِنَ التَّمْرِ مَرَّةً ثَانِيَةً. هَذَا التَّمْرُ لَيْسَ لَنَا!

قَرَأَتِ الْأُمُّ عَلَامَاتِ التَّعَجُّبِ عَلَى وَجْهِ «جُحَا»، فَقَالَتْ لَهُ:

ـ هَذَا تَمْرُ الْبَدْوِ.. تَرَكُوهُ عِنْدَنَا أَمَانَةً.

كَفَّ «جُحَا» عَنْ أَكْلِ التَّمْرِ وَإِهْدَائِهِ لِأَصْحَابِهِ الصِّغَارِ، وَمَرَّتِ الْأَيَّامُ.. وَنَزَلَ الْبَلْدَةَ عَدَدٌ مِنَ الْبَدْوِ يَبِيعُونَ وَيَشْتَرُونَ، وَعَرَفَ «جُحَا» بِوُجُودِهِمْ فِي الْبَلْدَةِ، فَأَسْرَعَ

إِلَى دَارِهِ لِيُخْبِرَ أُمَّهُ بِأَنَّ الْبَدْوَ قَدْ جَاءُوا لِيَأْخُذُوا تَمْرَهُمْ، فَلَمْ يَجِدْهَا، فَأَحْضَرَ وِعَاءً كَبِيرًا مِنَ الصَّفِيحِ، وَرَاحَ يَدُورُ فِي الشَّوَارِعِ وَهُوَ يَدُقُّ عَلَى وِعَاءِ الصَّفِيحِ كَالطَّبْلَةِ وَيَقُولُ:

- يَا بَدْوُ خُذُوا تَمْرَكُمْ.. يَا بَدْوُ ضَاقَتْ عَلَيْنَا الدَّارُ.

سَارَ خَلْفَ «جُحَا» عَدَدٌ مِنَ الْبَدْوِ الَّذِينَ طَمِعُوا فِي تَمْرٍ دُونَ ثَمَنٍ، وَرَاحُوا مَعَهُ، وَحَمَلُوا أَجْوِلَةَ التَّمْرِ كُلَّهَا وَخَرَجُوا. وَأَخَذُوا طَرِيقَهُمْ إِلَى دِيَارِهِمْ فِي الصَّحْرَاءِ، وَصَاحِبُهُمْ «جُحَا» وَأَصْحَابُهُ الصِّغَارُ يُوَدِّعُونَهُمْ إِلَى خَارِجِ الْقَرْيَةِ، وَعَادُوا يَلْعَبُونَ فِي الشَّوَارِعِ كَمَا كَانُوا.

حِينَ عَادَ «جُحَا» إِلَى الدَّارِ وَجَدَ أُمَّهُ ثَائِرَةً حَزِينَةً عَلَى ضَيَاعِ تَمْرِهَا، وَمَا إِنْ رَأَتْهُ حَتَّى قَالَتْ لَهُ:

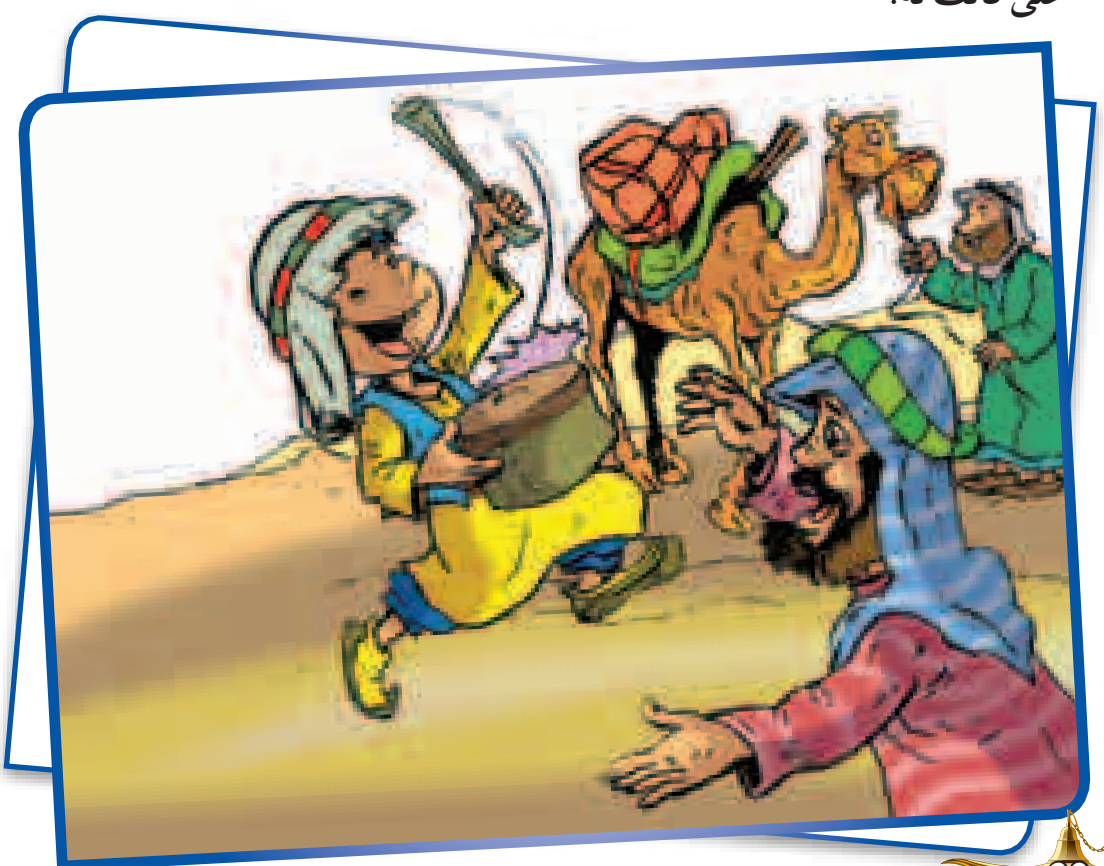

ـ أَيْنَ أَجْوِلَةُ التَّمْرِ يَا «جُحَا»؟

رَدَّ «جُحَا» فِي هُدُوءٍ وَقَالَ:

ـ أَخَذَهُ أَصْحَابُهُ الْبَدْوُ يَا أُمِّي.

لَـمْ تَجِدِ الْأُمُّ شَـيْئًا تَقُولُهُ لِـ «جُحَا»، فَهِيَ الَّتِي قَالَتْ لَهُ إِنَّـهُ أَمَانَةٌ لِلْبَدْوِ عِنْدَهُمْ!

صَمَتَتْ قَلِيلًا تُفَكِّرُ، وَرَأَتْ أَنَّهُ لَابُدَّ أَنْ تُصَارِحَ «جُحَا» بِالْحَقِيقَةِ. فَقَالَتْ لَهُ:

ـ التَّمْرُ كَانَ تَمْرَنَا يَا «جُحَا»، وَأَنَا خَشِيتُ أَنْ تُفَرِّقَهُ عَلَى أَصْحَابِكَ الصِّبْيَانِ الَّذِينَ تَلْهُو مَعَهُمْ.

وَحِينَ عَرَفَ «جُحَا» الْحَقِيقَةَ.. قَالَ لِأُمِّهِ فِي جِدِّيَّةٍ:

ـ اللَّيْلَةَ تَعُودُ إِلَيْكِ أَجْوِلَةُ التَّمْرِ.

فِي هُـدُوءٍ، تَسَـلَّلَ «جُحَـا» خَارِجًا مِنَ الـدَّارِ، رَكِبَ سَـعْفَتَهُ وَأَسْـرَعَ يَجْرِي فِي

الشَّـوَارِعِ حَتَّى خَرَجَ مِنَ الْبَلْدَةِ، نَظَرَ إِلَى الطَّرِيقِ الَّذِي يَعْرِفُ أَنَّ الْبَدْوَ سَـارُوا فِيهِ، رَآهُمْ عَلَى الْبُعْدِ.. قَرَّرَ أَنْ يَلْحَقَ بِهِمْ وَيَسْتَعِيدَ التَّمْرَ مِنْهُمْ.

وَاصَلَ «جُحَا» الطَّرِيقَ خَلْفَ الْبَدْوِ طُولَ النَّهَارِ، وَلَمَّا جَاءَ اللَّيْلُ وَنَصَبُوا خِيَامَهُمْ لِيَبِيتُوا فِيهَا.. كَانَ قَدِ اقْتَرَبَ مِنْهُمْ كَثِيرًا، وَجَلَسَ خَلْفَ شُـجَيْرَةٍ كَثِيفَةٍ حَتَّى لَا يَرَاهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ.. وَرَاحَ يُفَكِّرُ فِي حِيلَةٍ يَسْتَرِدُّ بِهَا تَمْرَهُمْ.

كَانَ مَعَ الْبَدْوِ عَدَدٌ مِنَ النِّسَـاءِ، وَحِينَ سَـمِعَ «جُحَا» الرِّجَالَ يَطْلُبُونَ مِنَ النِّسَاءِ أَنْ يَطْبُخْنَ لَهُمُ الْعَشَـاءَ، جَاءَتْهُ الْفِكْرَةُ، فَأَسْـرَعَ يَحْفِـرُ فِي الرِّمَالِ حُفْرَةً جَلَسَ فِيهَا بِحَيْثُ لَا يَظْهَرُ مِنْهَا إِلَّا رَأْسُهُ، وَجَلَسَ يَنْتَظِرُ.

خَرَجَتْ وَاحِدَةٌ مِنَ النِّسَـاءِ مِنَ الْخَيْمَةِ تَبْحَثُ عَنْ أَحْجَارٍ تَصْلُحُ لِصِنَاعَةِ مَوْقِدٍ لِلنَّـارِ، رَأَتْ رَأْسَ «جُحَـا» فِي الظَّلَامِ فَظَنَّتْهُ حَجَرًا، فَقَالَتْ فِي نَفْسِـهَا: هَذَا وَاحِدٌ.. نَأْخُذُهُ ثُمَّ نَبْحَثُ عَنِ الثَّانِي.

أَمْسَكَتِ الْمَرْأَةُ بِرَأْسِ «جُحَا» وَهَمَّتْ بِحَمْلِهِ، شَعَرَتْ أَصَابِعُهَا بِطَرَاوَةِ جِلْدِهِ، فَابْتَعَدَتْ فِي رُعْبٍ.

رَدَّ «جُحَا» وَقَالَ:

- إِنَّهُ رَأْسُ «جُحَا بْنِ عَلِيٍّ» يَا امْرَأَةُ.

ثُمَّ قَالَ مُتَهَكِّمًا:

- تُرِيدِينَ أَخْذَ رَأْسِي لِمَوْقِدِ النَّارِ؟!!

أَسْرَعَتِ الْمَرْأَةُ نَحْوَ الْخِيَامِ، وَهِيَ تَصِيحُ وَتُحَذِّرُ أَهْلَهَا وَتَقُولُ:

- الْأَرْضُ مَسْكُونَةٌ بِالْعَفَارِيتِ!! الْأَرْضُ مَسْكُونَةٌ بِالْعَفَارِيتِ!!

وَلِأَنَّ النَّاسَ فِي هَذَا الزَّمَانِ كَانُوا يُصَدِّقُونَ مِثْلَ هَذَا الْكَلَامِ، فَقَدْ خَافُوا وَهَرَبُوا جَمِيعًا تَارِكِينَ وَرَاءَهُمْ كُلَّ شَيْءٍ. وَخَرَجَ «جُحَا» مِنَ الْحُفْرَةِ.. وَأَخَذَ أَجْوِلَةَ تَمْرِهِمْ وَعَادَ بِهَا إِلَى أُمِّهِ.

«جُحَا» وَصَاحِبُ الْبُسْتَانِ

زَمَانٌ.. فِي ذَلِكَ الزَّمَنِ الْبَعِيدِ الَّذِي مَضَى، وَفِي الْقَرْيَةِ الَّتِي عَاشَ فِيهَا «جُحَا» مَعَ وَالِدَتِهِ وَأَخِيهِ بِمِنْطَقَةِ نَجْدٍ بِالسُّعُودِيَّةِ، كَانَ فِي الْبَلْدَةِ رَجُلٌ غَنِيٌّ، لَهُ بُسْتَانٌ كَبِيرٌ، أَحَاطَهُ بِسُورٍ عَالٍ، أَعْلَى مِنْ كُلِّ الْبُيُوتِ الْقَرِيبَةِ مِنْهُ، فَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَرَى مَا خَلْفَهُ، حَتَّى لَوْ صَعِدَ فَوْقَ سَطْحِ دَارِهِ.

كَانَ فِي دَاخِلِ السُّورِ مِئَاتٌ مِنْ أَشْجَارِ النَّخِيلِ الَّتِي تُعْطِي تَمْرًا مِنْ أَجْوَدِ الْأَصْنَافِ، وَكَذَا أَصْنَافٌ كَثِيرَةٌ مِنْ أَشْجَارِ الْفَاكِهَةِ وَالثِّمَارِ.

وَكَانَ فِي دَاخِلِ السُّورِ نَبْعٌ يَتَدَفَّقُ مِنْهُ الْمَاءُ بِلَا انْقِطَاعٍ، فِي جَدَاوِلَ وَأَنْهَارٍ شَقَّهَا الرَّجُلُ شَرَايِينَ تَرْوِي كُلَّ الْأَشْجَارِ، وَفِي وَسَطِ الْمَكَانِ بَنَى لِنَفْسِهِ قَصْرًا كَبِيرًا مِنَ

الْحِجَـارَةِ، وَحَفَرَ حَوْلَهُ خَنْدَقًا وَاسِـعًا عَمِيقًا مَلَأَهُ بِالْمَاءِ، فَصَارَ بُحَيْرَةً تَسْـبَحُ عَلَى وَجْهِهَا الطُّيُورُ وَتُحِيطُ بِهَا الْأَشْجَارُ.

كُلُّ هَذَا الرِّزْقِ الَّذِي أَعْطَاهُ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ لِلرَّجُلِ لَمْ يَجْعَلْهُ طَيِّبَ الْقَلْبِ رَاضِيًا بِمَا أَعْطَاهُ اللهُ، لَكِنَّهُ كَانَ قَاسِيًا طَمَّاعًا، يَسْخَرُ مِنْ كُلِّ مَنْ يَلْقَاهُ، وَيَبْخَلُ حَتَّى بِأَجْرِ خَدَمِهِ، وَيَتَحَايَلُ عَلَيْهِمْ حَتَّى لَا يَدْفَعَهُ لَهُمْ!

وَذَاتَ لَيْلَـةٍ مِنْ لَيَالِي الشِّـتَاءِ الْبَارِدَةِ، وَالْمَاءُ فِي الْبُحَيْرَةِ الَّتِي حَوْلَ الْقَصْرِ يَلْسَـعُ جِلْدَ الْإِنْسَـانِ مِنْ شِـدَّةِ بُرُودَتِهِ. فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ بِالذَّاتِ، أَرَادَ الرَّجُلُ أَنْ يُسَلِّيَ نَفْسَهُ، وَلَـمْ يَجِـدْ عِنْدَهُ إِلَّا خَادِمَـهُ الصَّغِيرَ الَّذِي يَنَامُ مَـعَ أُمِّهِ فِي حُجْرَةٍ صَغِيـرَةٍ عِنْدَ بَوَّابَةِ السُّورِ.

أَيْقَظَ الرَّجُلُ خَادِمَهُ الصَّغِيرَ وَقَالَ لَهُ:

ـ إِذَا سَبَحْتَ فِي مَاءِ الْبُحَيْرَةِ وَدُرْتَ حَوْلَ الْقَصْرِ عَشْرَ مَرَّاتٍ فَسَأُعْطِيكَ مُكَافَأَةً.

كَانَ الْخَادِمُ فَقِيرًا وَالرَّجُلُ يُعْطِيهِ أَجْرًا زَهِيدًا، وَهَذِهِ الْمُكَافَأَةُ سَتُعِينُهُ عَلَى مَصَارِيفِ أُمِّهِ الَّتِي يَرْعَاهَا، لِذَلِكَ وَافَقَ عَلَى عَرْضِ الرَّجُلِ، مُتَمَنِّيًا أَنْ تَكُونَ مُكَافَأَةُ الْأَغْنِيَاءِ كَبِيرَةً، وَخَلَعَ جِلْبَابَهُ وَقَفَزَ إِلَى الْمَاءِ.

صَاحَتْ أُمُّ الْخَادِمِ عَلَى وَلَدِهَا تَمْنَعُهُ مِنْ نُزُولِ الْمَاءِ الْمُثَلَّجِ فِي الشِّتَاءِ، لَكِنَّهُ كَانَ قَدْ نَزَلَ بِالْفِعْلِ، فَأَسْرَعَتْ تَجْمَعُ أَعْوَادَ الْحَطَبِ الْجَافَّةَ مِنْ هُنَا وَهُنَاكَ، وَتُكَوِّمُهَا بِالْقُرْبِ مِنْ حَافَةِ الْبُحَيْرَةِ وَتُشْعِلُ فِيهَا النَّارَ، وَهِيَ تَظُنُّ أَنَّهَا بِذَلِكَ تُدْفِئُ ابْنَهَا الَّذِي يَسْبَحُ فِي الْبُحَيْرَةِ.

ضَحِكَ الرَّجُلُ الْغَنِيُّ عَالِيًا سَاخِرًا مِنَ الْفَتَى الَّذِي يَسْبَحُ فِي الْبُحَيْرَةِ حَوْلَ الْقَصْرِ، وَمِنْ أُمِّهِ الَّتِي تُحْضِرُ الْحَطَبَ وَتُشْعِلُ فِيهِ النَّارَ حَتَّى تُدْفِئَهُ، حَتَّى دَارَ الْفَتَى حَوْلَ الْقَصْرِ الدَّوْرَاتِ الْعَشْرَ، وَخَرَجَ يَطْلُبُ الْمُكَافَأَةَ مِنَ الرَّجُلِ.

تَجَهَّمَ وَجْهُ الرَّجُلِ وَقَالَ:

ـ أَيَّةُ مُكَافَأَةٍ؟! لَيْسَ لَكَ عِنْدِي شَيْءٌ، فَأُمُّكَ قَدْ أَخَلَّتْ بِالشَّرْطِ وَأَدْفَأَتْ لَكَ مَاءَ الْبُحَيْرَةِ!!

عَادَ الْفَتَى وَأُمُّهُ إِلَى الْحُجْرَةِ الصَّغِيرَةِ الَّتِي يُقِيمَانِ فِيهَا عِنْدَ بَوَّابَةِ السُّورِ، لَفَّتِ الْمَرْأَةُ ابْنَهَا فِي عِدَّةِ أَغْطِيَةٍ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الْبَرْدُ، وَجَمَعَا حَاجِيَّاتِهِمَا الْقَلِيلَةَ وَتَرَكَا الْحُجْرَةَ وَعَادَا إِلَى دَارِهِمَا الَّتِي فِي الْقَرْيَةِ.

وَفِي الصَّبَاحِ عَرَفَتِ الْقَرْيَةُ كُلُّهَا مَا حَدَثَ لِلْفَتَى الصَّغِيرِ مِنَ الرَّجُلِ الْغَنِيِّ الْمَغْرُورِ.

قَرَّرَ «جُحَا» أَنْ يَأْخُذَ حَقَّ الْفَتَى مِنَ الرَّجُلِ، أَخَذَ عَدَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ وَذَهَبُوا إِلَى صَاحِبِ الْبُسْتَانِ، وَادَّعَوْا أَنَّهُمْ غُرَبَاءُ عَنِ الْقَرْيَةِ وَأَنَّهُمْ ضُيُوفٌ عَلَيْهِ.

اضْطُـرَّ صَاحِـبُ الْبُسْـتَانِ أَنْ يُرَحِّبَ بِالضُّيُـوفِ، وَاضْطُـرَّ أَيْضًـا أَنْ يَذْبَحَ لَهُمْ خَرُوفًا، وَطَلَبَ مِنَ الطَّاهِي أَلَّا يَكُونَ كَبِيرًا أَوْ سَمِينًا.

حِيـنَ أَعَدَّ الطَّاهِي الْخَـرُوفَ لِلطَّهْي، طَلَبَ مِنْهُ «جُحَا» أَنْ يَطْهُوَهُ هُوَ وَأَصْحَابُهُ بِطَرِيقَتِهِمْ، فَرَحَّبَ الرَّجُلُ وَتَرَكَهُ لَهُمْ وَذَهَبَ إِلَى عَمَلِهِ.

وَضَـعَ «جُحَـا» الْخَـرُوفَ فِي قِدْرٍ كَبِيـرٍ، وَوَضَعَ الْقِـدْرَ عَلَى مَوْقِـدٍ فِي الْحَدِيقَةِ، وَجَمَعَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ الْحَطَبَ مِنَ الْحَدِيقَةِ وَكَوَّمُوهُ بَعِيدًا عَنِ الْقِدْرِ!

أَشْـعَلَ «جُحَـا» النَّـارَ فِي كَوْمَةِ الْحَطَـبِ، وَيَمُرُّ الْوَقْـتُ وَهُوَ يُغَذِّيهَـا وَأَصْحَابُهُ بِالْحَطَـبِ.. وَكُلَّ مُـدَّةٍ يَقُـومُ «جُحَا» يَنْظُـرُ إِلَى الْمَاءِ فِي الْقِدْرِ وَيَعُـودُ إِلَى أَصْحَابِهِ، وَيَقُولُ لَهُمْ:

- الْمَاءُ لَمْ يَغْلِ فِي الْقِدْرِ.. زِيدُوا مِنْ حَطَبِ النَّارِ!

وَيَزِيدُ الْأَصْحَابُ مِنَ الْحَطَبِ، وَيَرْتَفِعُ اللَّهَبُ عَالِيًا.. وَصَاحِبُ الْقَصْرِ يَتَعَجَّبُ مِمَّا يَفْعَلُونَ. وَأَخِيرًا صَاحَ يَقُولُ لَهُمْ:

- الْمَاءُ لَنْ يَغْلِيَ فِي الْقِدْرِ أَبَدًا وَاللَّهَبُ بَعِيدٌ عَنْهُ.

تَعَجَّبَ «جُحَا» وَقَالَ مُتَسَائِلًا:

- كَيْفَ وَالْمَاءُ فِي الْبُحَيْرَةِ قَدْ سَخُنَ مِنْ نَارِ الْعَجُوزِ وَهِيَ بَعِيدَةٌ عَنْهَا؟

خَجِلَ صَاحِبُ الْبُسْتَانِ مِنْ نَفْسِهِ، وَعَرَفَ أَنَّهُ قَدْ أَخْطَأَ، وَذَهَبَ إِلَى الْفَتَى فِي دَارِهِ وَاعْتَذَرَ لَهُ، وَأَعْطَاهُ ضِعْفَ مَا كَانَ يَنْوِي أَنْ يُعْطِيَهُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ. وَلَمْ يَعُدْ بَعْدَ ذَلِكَ مُطْلَقًا إِلَى ظُلْمِ أَحَدٍ.

«جُحَا» وَالْفَلَّاحُ

زَمَـانٌ.. وَفِي ذَلِـكَ الزَّمَنِ الَّـذِي فَاتَ، وَفِي الْقَرْيَـةِ الَّتِي كَانَ يَعِيـشُ فِيهَا «جُحَا» فِي مِنْطَقَةِ نَجْدٍ بِالسُّـعُودِيَّةِ، كَانَ هُنَاكَ فَلَّاحٌ يَزْرَعُ أَرْضَهُ بِأَشْـجَارِ النَّخِيلِ وَالْفَاكِهَةِ وَالثِّمَـارِ، لَمْ يَكُنْ غَنِيًّا كَأَصْحَابِ الْبَسَـاتِينِ، وَلَكِنْ كَانَ عِنْدَهُ مَـا يَكْفِيهِ هُوَ وَعِيَالَهُ طَوَالَ الْعَامِ وَزِيَادَةٌ.

وَذَاتَ يَوْمٍ كَانَ هَذَا الْفَلَّاحُ فِي السُّـوقِ، يَبِيعُ بَعْضَ الثِّمَارِ الَّتِي تَزِيدُ عَلَى حَاجَتِهِ، إِذْ رَأَى صَبِيًّـا يَعْمَـلُ حَمَّالًا، فَصَاحَ مُنَـادِيًا عَلَيْهِ، أَسْـرَعَ الطِّفْـلُ مُلَبِّيًا، وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّ الْفَلَّاحَ سَـيَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يَحْمِلَ لَهُ شَـيْئًا مِنَ السُّـوقِ إِلَى دَارِهِ، لَكِنَّ الْفَلَّاحَ سَأَلَـهُ قَائِلًا:

- هَلْ تَعْمَلُ عِنْدِي؟

سَأَلَ الطِّفْلُ وَقَالَ:

- وَمَاذَا أَعْمَلُ يَا سَيِّدِي؟

أَجَابَ الْفَلَّاحُ وَقَالَ:

- عِنْدِي أَشْجَارُ نَخِيلٍ، تَعْمَلُ فِي خِدْمَتِهَا حَتَّى الْعَامِ الْقَادِمِ، وَلَكَ نَخْلَةٌ مِنْهَا.

لَمْ يُفَكِّرِ الصَّبِيُّ.. وَافَقَ عَلَى عَرْضِ الرَّجُلِ وَرَاحَ مَعَهُ، فَالْبَلَحُ الَّذِي تُنْتِجُهُ النَّخْلَةُ يَكْفِيهِ وَزِيَادَةٌ. وَصَارَ يَرْعَى نَخْلَاتِ الْفَلَّاحِ، يَرْبُطُ نَفْسَهُ بِحَبْلٍ حَوْلَ جِذْعِهَا، يَصْعَدُ إِلَى أَعْلَى، يَقْطَعُ سَعَفَهَا الْقَدِيمَ، ثُمَّ يَهْبِطُ لِيُنَظِّفَ الْأَرْضَ مِنْ حَوْلِهَا، يَضَعُ السَّمَادَ فِي أَرْضِهَا، يَرْوِيهَا فِي مَوَاعِيدِهَا، يُطَهِّرُهَا مِنَ الْآفَاتِ الَّتِي تُصِيبُهَا، وَلَمْ يُقَصِّرْ طَوَالَ الْعَامِ فِي عَمَلِهِ، فَأَعْطَتِ النَّخْلَاتُ فِي نِهَايَةِ الْعَامِ ثُمُورًا أَضْعَافَ مَا كَانَتْ تُعْطِيهِ فِي الْأَعْوَامِ السَّابِقَةِ.

وَجَاءَ مِيعَادُ الْحَصَادِ، وَجَاءَ الْفَلَّاحُ بِأَجْوِلَتِهِ، وَرَاحَ يَجْمَعُ التَّمْرَ.

انْتَظَرَ الصَّبِيُّ أَنْ يُحَدِّدَ لَهُ الْفَلَّاحُ النَّخْلَةَ الَّتِي سَيَأْخُذُ تَمْرَهَا فَلَمْ يَفْعَلْ، كُلُّ نَخْلَةٍ يَقْطَعُ الْفَلَّاحُ عَنَاقِيدَهَا، يَظُنُّ الصَّبِيُّ أَنَّهُ سَيَقُولُ لَهُ هَذِهِ لَكَ، لَكِنَّهُ يَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يَذْهَبَ بِهَا إِلَى الْفَرْشِ فِي الشَّمْسِ. وَيُطِيعُ الصَّبِيُّ وَهُوَ يَتَمَنَّى أَنْ تَكُونَ نَخْلَتُهُ هِيَ النَّخْلَةَ الْقَادِمَةَ.

انْتَهَى النَّهَارُ.. وَلَمْ يَنْتَهِ الْفَلَّاحُ مِنْ جَمْعِ سُبَاطَاتِ الْبَلَحِ كُلِّهَا، وَمَا جَمَعَهُ وَضَعَهُ فِي مَنَاشِرِ الشَّمْسِ. فَرَاحَ الصَّبِيُّ إِلَيْهِ وَقَالَ لَهُ:

- أَيْنَ النَّخْلَةُ الَّتِي وَعَدْتَنِي بِثِمَارِهَا؟

تَعَجَّبَ الْفَلَّاحُ مِنْ طَلَبِ الصَّبِيِّ، وَقَالَ لَهُ:

- أَنَا لَمْ أَعِدْكَ بِثِمَارِ نَخْلَةٍ! أَنَا أَعْطَيْتُكَ نَخْلَةً، أَمَامَكَ النَّخْلُ كَثِيرٌ فَاخْتَرْ أَيَّ وَاحِدَةٍ وَخُذْهَا!!

أَدْرَكَ الصَّبِيُّ أَنَّ الْفَلَّاحَ قَدْ خَدَعَهُ، فَتَرَكَهُ بَاكِيًا، وَسَارَ عَائِدًا إِلَى دَارِهِ لَا يَدْرِي مَاذَا يَفْعَلُ فِي هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي ضَحِكَ عَلَيْهِ، وَطَمِعَ فِي ثِمَارِهِ.

كَانَ «جُحَا» يَلْهُو فِي الشَّارِعِ رَاكِبًا سَعْفَةَ النَّخْلَةِ كَعَادَتِهِ. رَأَى الصَّبِيَّ وَهُوَ يَبْكِي، أَسْرَعَ إِلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ تَمْرٍ فِي جَيْبِهِ وَهُوَ يُرَبِّتُ عَلَيْهِ، وَيَسْأَلُهُ وَيَقُولُ لَهُ:

- لِمَاذَا تَبْكِي يَا صَدِيقِي؟

حَكَى الصَّبِيُّ الْحِكَايَةَ لِـ «جُحَا»، فَقَالَ لَهُ «جُحَا»:

- لَا تَحْزَنْ.. سَأُحْضِرُ لَكَ تَمْرَكَ.

رَكِبَ «جُحَا» سَعْفَةَ النَّخْلَةِ الَّتِي يَتَخَيَّلُهَا حِصَانًا وَجَرَى بِهَا إِلَى الْفَلَّاحِ، سَلَّمَ عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُ:

- أُرِيدُ أَنْ أَشْتَرِيَ نَخْلَةً مِنْ نَخِيلِكَ.

قَالَ الرَّجُلُ:

- اخْتَرِ النَّخْلَةَ الَّتِي تُرِيدُهَا.

دَارَ «جُحَا» بَيْنَ النَّخِيلِ، اخْتَارَ وَاحِدَةً مُحَمَّلَةً بِالتَّمْرِ، اتَّفَقَ مَعَ الْفَلَّاحِ عَلَى ثَمَنِهَا، رَجَاهُ أَنْ يَسْمَحَ لَهُ بِالذَّهَابِ إِلَى بَيْتِهِ لِيُحْضِرَ لَهُ الثَّمَنَ. فَوَافَقَ الرَّجُلُ وَخَرَجَ «جُحَا» مُسْرِعًا.

لَمْ يَذْهَبْ «جُحَا» إِلَى دَارِهِ، لَكِنَّهُ جَرَى بِفَرَسِهِ فِي الشَّوَارِعِ وَجَمَعَ أَصْحَابَهُ الصِّبْيَانَ، وَأَفْهَمَهُمُ الْحِكَايَةَ وَطَلَبَ مِنْهُمْ أَنْ يُسَاعِدُوهُ فِي إِعَادَةِ حَقِّ صَاحِبِهِمُ الصَّبِيِّ، وَأَحْضَرُوا جَمِيعًا حِبَالًا، وَأَسْرَعُوا خَلْفَ جُحَا إِلَى حَقْلِ الْفَلَّاحِ، رَبَطُوا الْحِبَالَ فِي النَّخْلَةِ الَّتِي اشْتَرَاهَا، وَرَاحُوا يَشُدُّونَهَا إِلَى خَارِجِ الْبُسْتَانِ! رَآهُمُ الْفَلَّاحُ وَتَعَجَّبَ مِمَّا يَفْعَلُونَ، أَسْرَعَ إِلَيْهِمْ وَهُوَ يَصِيحُ فِي «جُحَا» وَيَقُولُ لَهُ:

- مَاذَا تَفْعَلُ يَا «جُحَا»؟

رَدَّ «جُحَا» وَهُوَ يَشُدُّ فِي الْحَبْلِ، وَقَالَ:

- آخُذُ النَّخْلَةَ، أَلَمْ أَشْتَرِهَا مِنْكَ؟

ضَحِكَ الْفَلَّاحُ عَالِيًا حَتَّى كَادَ يَقَعُ عَلَى الْأَرْضِ، وَهُوَ يَقُولُ:

- يَا «جُحَا».. لَقَدْ بِعْتُكَ التَّمْرَ الَّذِي تُنْتِجُهُ النَّخْلَةُ، وَلَيْسَتِ النَّخْلَةَ نَفْسَهَا.

كَفَّ «جُحَا» عَنْ شَدِّ الْحِبَالِ، وَتَقَدَّمَ نَاحِيَةَ الرَّجُلِ وَهُوَ يَقُولُ لَهُ:

- يَعْنِي حِينَ تَقُولُ لِي سَأُعْطِيكَ نَخْلَةً تَقْصِدُ بِذَلِكَ أَنَّكَ سَتُعْطِينِي التَّمْرَ الَّذِي تُنْتِجُهُ هَذِهِ النَّخْلَةُ؟

رَدَّ الْفَلَّاحُ مُؤَكِّدًا:

- طَبْعًا وَهَذَا مَا أَعْنِيهِ.

سَأَلَ «جُحَا» الْفَلَّاحَ وَقَالَ لَهُ:

- إِذَنْ لِمَاذَا طَلَبْتَ مِنَ الصَّبِيِّ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ عِنْدَكَ أَنْ يَأْخُذَ النَّخْلَةَ وَيَتْرُكَ التَّمْرَ؟

انْتَبَهَ الْفَلَّاحُ إِلَى أَنَّ «جُحَا» عَلَّمَهُ دَرْسًا فِي الصِّدْقِ وَالْأَمَانَةِ، وَأَرْسَلَ مَنْ يَأْتِيهِ بِالصَّبِيِّ وَأَعْطَاهُ تَمْرَ نَخْلَتَيْنِ عِقَابًا لِنَفْسِهِ عَلَى عَدَمِ الْوَفَاءِ بِوَعْدِهِ مَعَهُ.

«جُحَا» وَالْمُرَابِي

زَمَـانٌ.. فِي ذَلِكَ الزَّمَنِ الَّذِي فَاتَ، وَفِي مِنْطَقَةِ نَجْدٍ، الَّتِي كَانَ يَعِيشُ فِيهَا «جُحَا ابْـنُ عَـلِيٍّ»، كَانَ يَعِيشُ رَجُلٌ أَعْطَاهُ اللهُ الْمَالَ الْكَثِيرَ، وَلَكِنَّ الشَّـيْطَانَ لَعِبَ بِهِ وَجَعَلَهُ يَسْـتَغِلُّ الْمُحْتَاجِينَ وَيُعْطِيهِمْ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنْ مَالٍ، بِشَـرْطِ أَنْ يَرُدُّوهُ لَهُ بِالزِّيَادَةِ! وَأَطْلَقَ النَّاسُ عَلَى هَذَا الرَّجُلِ اسْمَ الْمُرَابِي.

وَفِي هَـذِهِ الْمِنْطَقَـةِ أَيْضًا.. كَانَ يَعِيـشُ وَاحِدٌ مِنَ الْفَلَّاحِينَ الصِّغَـارِ، وَذَاتَ يَوْمٍ.. احْتَاجَ هَذَا الْفَلَّاحُ إِلَى مَبْلَغٍ مِنَ الْمَالِ، لَمْ يَكُنْ مَعَهُ، وَلَمْ يَجِدْ أَحَدًا يُعْطِيهِ لَهُ.

اضْطُرَّ الْفَلَّاحُ الْفَقِيرُ إِلَى الذَّهَابِ إِلَى الْمُرَابِي.. رَحَّبَ بِهِ الرَّجُلُ وَقَالَ لَهُ:

- سَأُعْطِيكَ مَا تُرِيدُ.. وَلَكِنْ لِي شَرْطٌ.

رَدَّ الْفَلَّاحُ وَقَالَ مُسْتَسْلِمًا:

- مُوَافِقٌ عَلَى شَرْطِكَ حَتَّى قَبْلَ أَنْ أَسْمَعَهُ.

قَالَ الْمُرَابِي:

- إِذَا جَاءَ وَقْتُ السَّـدَادِ وَلَمْ تُحْضِرِ الْمَبْلَغَ، فَإِنَّ لِيَ الْحَقَّ أَنْ أَقْتَطِعَ مِنْ جَسَدِكَ كِيلُو جِرَامًا مِنَ اللَّحْمِ فَوْقَ الزِّيَادَةِ الْمُعْتَادَةِ.

اضْطُرَّ الرَّجُلُ إِلَى الْمُوَافَقَةِ وَهُوَ يَأْمُلُ أَنْ يُعِيدَ الْمَبْلَغَ إِلَى صَاحِبِهِ حَتَّى قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ مَوْعِدُ سَدَادِهِ. وَأَخَذَ مَا يُرِيدُ مِنَ الْمَالِ وَوَقَّعَ عَقْدَ الِاتِّفَاقِ.

وَجَاءَ مَوْعِدُ سَـدَادِ الْفَلَّاحِ لِدَيْنِهِ، لَكِنَّهُ لَمْ يَسْـتَطِعْ أَنْ يُدَبِّرَهُ، فَطَالَبَهُ الْمُرَابِي بِتَنْفِيذِ الشَّرْطِ الَّذِي وَافَقَ عَلَيْهِ، وَهُوَ أَنْ يَقْتَطِعَ مِنْ جَسَدِهِ كِيلُو جِرَامًا مِنَ اللَّحْمِ مُقَابِلَ الدَّيْنِ.

وَاخْتَلَفَ الرَّجُلَانِ: رَفَضَ الْفَلَّاحُ أَنْ يَسْـمَحَ لِلْمُرَابِي بِأَنْ يَقْتَطِعَ مِنْ جَسَـدِهِ قِطْعَةً مِـنَ اللَّحْمِ، وَأَصَـرَّ الْمُرَابِي عَلَى تَنْفِيذِ الشَّـرْطِ، وَأَصَرَّ الْفَلَّاحُ عَلَى رَفْضِـهِ، فَذَهَبَا إِلَى الْقَاضِي لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمَا.

سَـمِعَ الْقَاضِي الْحِكَايَةَ مِنَ الْمُرَابِي، وَقَرَأَ الشَّـرْطَ الْمَكْتُوبَ الَّذِي قَبِلَهُ الْفَلَّاحُ وَوَقَّعَ بِالْمُوَافَقَةِ، وَسَـمِعَ مِنَ الْفَلَّاحِ دِفَاعَهُ عَنْ نَفْسِهِ، وَفِي النِّهَايَةِ حَكَمَ عَلَى الْفَلَّاحِ بِأَنْ يَقُومَ بِسَدَادِ دَيْنِهِ أَوْ يُنَفِّذَ الْمُرَابِي شَرْطَهُ.

طَلَـبَ الْفَـلَّاحُ مِنَ الْقَاضِـي أَنْ يُمْهِلَهُ يَوْمًا رُبَّمَا اسْـتَطَاعَ أَنْ يَجْمَـعَ مَالَ الدَّيْنِ، وَوَافَـقَ الْقَاضِي عَلَى أَنْ يَحْضُرَ الِاثْنَانِ عِنْدَهُ فِي صَبَاحِ الْغَدِ، وَخَرَجَ الْفَلَّاحُ مِنْ عِنْدِ الْقَاضِـي، وَقَدْ رَكِبَهُ الْهَـمُّ وَالْغَمُّ لَا يَدْرِي مَاذَا يَفْعَلُ، وَسَـارَ فِي طُرُقَاتِ الْمَدِينَةِ لَا يَدْرِي إِلَى أَيْنَ يَذْهَبُ.

كَانَ «جُحَـا» يَرْكَبُ سَـعْفَةَ النَّخْـلِ مُتَخَيِّلًا أَنَّهَا فَرَسُـهُ، وَيَمْرَحُ بِهَـا فِي طُرُقَاتِ الْمَدِينَـةِ هُوَ وَأَصْحَابُهُ الصِّبْيَةُ، فَرَأَى الْفَلَّاحَ يَسِـيرُ مَهْمُومًـا، أَوْقَفَ «جُحَا» رَكْبَ الْفُرْسَانِ، وَالْتَفُّوا حَوْلَ الْفَلَّاحِ وَقَالُوا لَهُ:

ـ لَنْ نَتْرُكَكَ حَتَّى تَحْكِيَ لَنَا سَبَبَ هَمِّكَ.

حَكَى الْفَلَّاحُ الْفَقِيرُ حِكَايَتَهُ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا. فَكَّرَ «جُحَا» قَلِيلًا، ثُمَّ قَالَ لِلْفَلَّاحِ:

ـ لَا تَقْلَقْ، سَأُدَافِعُ عَنْكَ أَمَامَ الْقَاضِي، وَأُخَلِّصُكَ مِنْ هَذِهِ الْوَرْطَةِ!

حِيـنَ جَاءَ صَبَاحُ الْغَدِ.. اجْتَمَعَ «جُحَا» وَالْفَلَّاحُ الْفَقِيرُ وَالْمُرَابِي أَمَامَ الْقَاضِي، وَسَأَلَ الْقَاضِي الْفَلَّاحَ وَقَالَ لَهُ:

ـ هَلْ أَحْضَرْتَ مَالَ الرَّجُلِ؟

رَدَّ الْفَلَّاحُ وَقَالَ:

ـ لَا يَا سَيِّدِي الْقَاضِيَ، وَلَكِنِّي أَحْضَرْتُ «جُحَا» يُدَافِعُ عَنِّي.

سَأَلَ الْقَاضِي «جُحَا» وَقَالَ لَهُ:

ـ وَمَاذَا عِنْدَكَ لِلدِّفَاعِ عَنْهُ يَا «جُحَا»؟

رَدَّ «جُحَا» قَائِلًا:

- سَيِّدِي الْقَاضِي.. لَنْ أُدَافِعَ عَنِ الْفَلَّاحِ، فَنَحْنُ قَدْ قَبِلْنَا حُكْمَكَ فَهُوَ حُكْمٌ عَادِلٌ.. وَرَضِينَا بِأَنْ يَقْتَطِعَ صَاحِبُ الْمَالِ كِيلُو اللَّحْمِ عِوَضًا عَنْهُ، وَلَكِنْ عَلَى شَرْطٍ.

سَأَلَ الْقَاضِي وَقَالَ:

- وَمَا هُوَ الشَّرْطُ يَا «جُحَا»؟

رَدَّ «جُحَا» وَقَالَ:

- الشَّـرْطُ هُوَ أَنْ يَقْتَطِعَ الرَّجُلُ مَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ دُونَ زِيَادَةٍ، وَإِذَا زَادَ مَا اقْتَطَعَهُ، فَعَلَيْهِ أَنْ يُعِيـدَ الزِّيَادَةَ إِلَى مَكَانِهَا كَمَا كَانَتْ! وَإِذَا لَمْ يَسْـتَطِعْ نَقْتَطِعْ نَحْنُ مِنْ جَسَـدِهِ بِحَجْمِ الزِّيَادَةِ الَّتِي قَطَعَهَا.

فَكَّرَ الْقَاضِي قَلِيلًا وَقَالَ:

- شَـرْطٌ مَعْقُولٌ.. نَفِّـذُوا الْحُكْمَ عَلَى هَذَا الْأَسَاسِ، وَهَيَّا انْصَرِفُوا مِنَ الْجِلْسَةِ.

خَـرَجَ الرِّجَالُ الثَّلَاثَةُ مِنْ أَمَـامِ الْقَاضِي، وَوَقَفُوا يُفَكِّرُونَ مَـاذَا يَفْعَلُونَ. الْفَلَّاحُ مُطْمَئِنٌّ قَلِيلًا، فَقَدْ وَضَعَ «جُحَا» الْمُرَابِيَ فِي مَأْزِقٍ كَبِيرٍ؛ فَمَنْ هَذَا الَّذِي يَضْمَنُ أَنْ يَقْتَطِـعَ الْوَزْنَ الَّذِي يُرِيدُ بِالتَّمَـامِ وَالْكَمَالِ؟ بَيْنَمَا الْمُرَابِي خَائِـفٌ مِنَ التَّنْفِيذِ؛ فَلَوْ قَطَعَ بِالزِّيَادَةِ فَلَا يُوجَدُ مَخْلُوقٌ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعِيدَ قِطْعَةَ لَحْمٍ إِلَى مَكَانِهَا كَمَا كَانَتْ، وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُمْ سَيَقْتَطِعُونَ مِنْ لَحْمِهِ بِمِقْدَارِهَا، وَ«جُحَا» فَرِحٌ بِنَجَاحِهِ فِي الدِّفَاعِ عَنِ الْفَلَّاحِ، فَهُوَ يَعْرِفُ أَنَّهُ وَضَعَ شَرْطًا يَعْجِزُ الْمُرَابِي عَنْ تَنْفِيذِهِ.

طَالَ تَفْكِيرُ الْمُرَابِي فِي هَذِهِ الْوَرْطَةِ الْكَبِيرَةِ الَّتِي أَوْقَعَهُ فِيهَا «جُحَا»، وَحِينَ أَدْرَكَ أَنَّهُ لَا يُوجَدُ حَلٌّ لِهَذِهِ الْمُشْكِلَةِ، قَالَ فِي حُزْنٍ:

ـ أَنَا مُتَنَازِلٌ عَنِ الدَّيْنِ وَلَا أُرِيدُهُ.

رَدَّ الْفَلَّاحُ الْفَقِيرُ وَقَالَ:

ـ بَلْ سَأُعْطِيهِ لَكَ حِينَ يَرْزُقُنِي اللهُ بِهِ، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ بَعْدَ وَقْتٍ قَصِيرٍ، فَنَحْنُ لَا نَأْكُلُ أَمْوَالَ الْغَيْرِ مِنْ دُونِ حَقٍّ.

«سَرْحَانُ» وَبِنْتُ مَلِكِ الزَّمَانِ

فِي يَوْمٍ مِنَ الزَّمَنِ الَّذِي فَاتَ، خَرَجَ الْمُنَادِي فِي الشَّوَارِعِ وَالطُّرُقَاتِ، يُعْلِنُ قَرَارَ مَلِكِ الزَّمَانِ، وَالْتَفَّ حَوْلَهُ كُلُّ الشُّبَّانِ، وَهُوَ يَقُولُ:

- مَنْ يُلْقِي عَلَى الْأَمِيرَةِ «زَعْفَرَانَ» بِنْتِ مَلِكِ الزَّمَانِ لُغْزًا لَا تَسْتَطِيعُ حَلَّهُ، سَيَكُونُ زَوْجًا لَهَا، وَذَلِكَ بِأَمْرٍ مِنْ وَالِدِهَا!

كَانَتِ الْأَمِيرَةُ «زَعْفَرَانُ» فَتَاةً جَمِيلَةً ذَكِيَّةً، اتَّفَقَتْ مَعَ وَالِدِهَا مَلِكِ الزَّمَانِ أَنْ لَا تَتَزَوَّجَ إِلَّا مِنْ فَارِسٍ يَكُونُ أَذْكَى مِنْهَا. وَمُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَالْفُرْسَانُ يَأْتُونَ مِنْ كُلِّ أَنْحَاءِ الْمَمْلَكَةِ، وَهُمْ يُعَلِّقُونَ سُيُوفَهُمْ عَلَى أَكْتَافِهِمْ، وَيَتَجَمَّعُونَ حَوْلَ بَابِ الْقَصْرِ، يُدْخِلُهُمُ الْحُرَّاسُ الْوَاحِدَ بَعْدَ الْآخَرِ، وَمَنْ يَحِلُّ عَلَيْهِ الدَّوْرُ، لَا يَغِيبُ فِي الدَّاخِلِ سِوَى دَقِيقَتَيْنِ، وَتَكْشِفُ الْأَمِيرَةُ سِرَّ لُغْزِهِ، وَيَخْرُجُ وَهُوَ يَنْعَى حَظَّهُ.

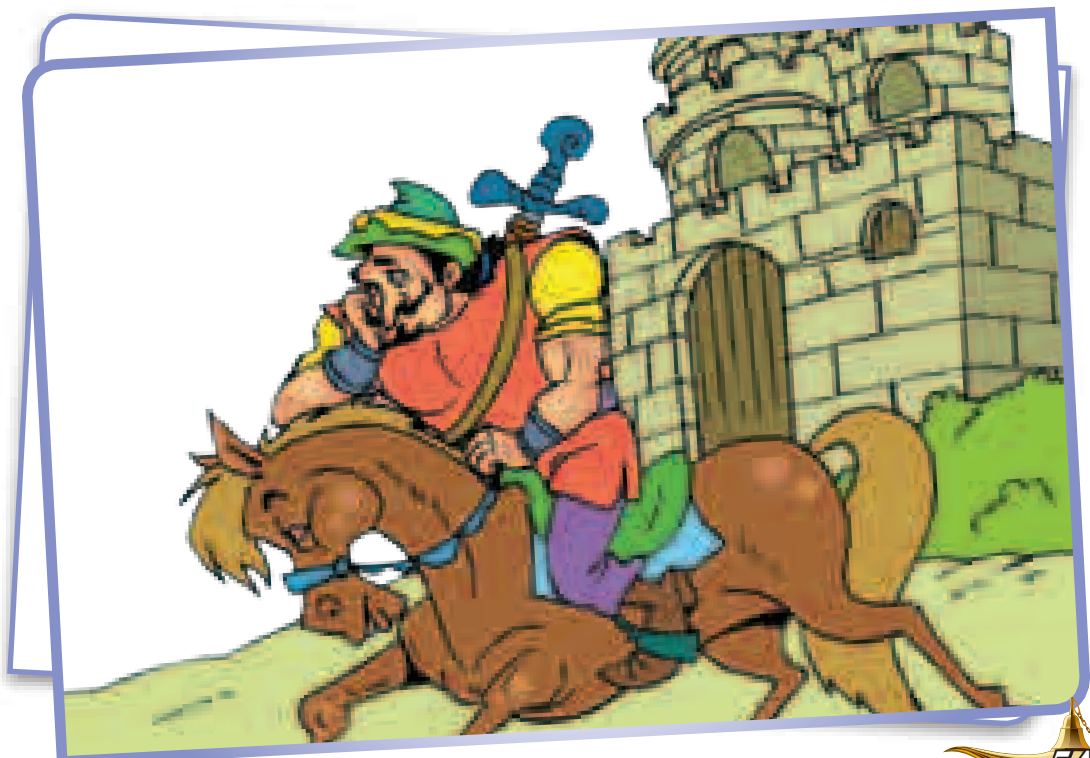

لَـمْ يَبْـقَ فِي الْمَمْلَكَةِ كُلِّهَا فَارِسٌ لَمْ يَذْهَبْ إِلَى طَلَبِ يَـدِ «زَعْفَرَانَ»، وَلَمْ يَعُدْ فِي الْمَمْلَكَةِ فَارِسٌ إِلَّا اسْتَطَاعَتِ الْأَمِيرَةُ حَلَّ لُغْزِهِ فِي ثَوَانٍ، إِلَّا الشَّابَّ «سَرْحَانَ» ابْنَ رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ فَقِيرَيْنِ، لَيْسَ لَدَيْهِ سَيْفٌ وَلَا حِصَانٌ، لَكِنَّهُ فَكَّرَ فِي الذَّهَابِ إِلَى الْأَمِيرَةِ «زَعْفَرَانَ» بِنْتِ مَلِكِ الزَّمَانِ.

أَخْبَرَ «سَرْحَانُ» أُمَّهُ وَأَبَاهُ بِرَغْبَتِهِ، لَكِنْ كَيْفَ يَذْهَبُ ابْنُهُمَا بِدُونِ سَيْفٍ وَحِصَانٍ؟ وَبِرَغْمِ فَقْرِهِمَا فَقَدْ طَمْأَنَاهُ بِأَنَّهُ سَيَذْهَبُ بِمَشِيئَةِ اللهِ.

ذَهَـبَ كُلٌّ مِـنَ الْأَبِ وَالْأُمِّ إِلَى صَاحِبِ الْبُسْـتَانِ الَّذِي يَعْمَـلَانِ فِيهِ، وَطَلَبَ كُلٌّ مِنْهُمَا سُـلْفَةً قَدْرُهَا أَجْرُ سَـنَةٍ مِنَ الْآنَ، وَعَادَا إِلَى الدَّارِ، وَأَعْطَى كُلٌّ مِنْهُمَا مَا جَادَ بِهِ اللهُ إِلَى «سَرْحَانَ».

شَـكَرَ «سَرْحَانُ» أَبَاهُ وَأُمَّهُ، وَأَسْرَعَ إِلَى السُّوقِ، وَاشْـتَرَى بِالْمَالِ الَّذِي أَعْطَاهُ لَهُ وَالِـدُهُ حِصَانًا، وَاشْـتَرَى بِالَّذِي أَعْطَتْهُ لَهُ أُمُّهُ سَـيْفًا حِجَازِيًّا بَتَّارًا. ثُمَّ رَكِبَ فَرَسَـهُ

وَتَقَلَّدَ سَيْفَهُ، وَوَدَّعَ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَطَلَبَ مِنْهُمَا التَّوْفِيقَ، وَتَوَكَّلَ عَلَى اللهِ وَبَدَأَ الطَّرِيقَ.

سَارَ «سَرْحَانُ» فِي الطَّرِيقِ عِدَّةَ أَيَّامٍ، وَطَالَ بِهِ الطَّرِيقُ، وَنَفِدَ مِنْهُ الزَّادُ وَجَاعَ وَعَطِشَ، فَأَسْرَعَ بِحِصَانِهِ حَتَّى عَرِقَ، وَتَكَاثَرَ زَبَدُ الْعَرَقِ عَلَى لَبَّتِهِ، فَشَرِبَ مِنْهَا حَتَّى ارْتَوَى، وَنَظَرَ فَرَأَى غَزَالَةً طَارَدَهَا حَتَّى صَادَهَا، لَكِنَّهَا مَاتَتْ قَبْلَ أَنْ يَذْبَحَهَا، فَحَزِنَ عَلَيْهَا، وَقَبْلَ أَنْ يَتْرُكَهَا لَاحَظَ جَنِينًا يَتَحَرَّكُ فِي بَطْنِهَا، فَأَخْرَجَهُ وَذَبَحَهُ وَشَوَاهُ وَأَكَلَهُ. وَأَخِيرًا.. وَاصَلَ سَيْرَهُ.

فَكَّرَ «سَرْحَانُ» أَثْنَاءَ سَيْرِهِ فِي اللُّغْزِ الَّذِي تَعْجِزُ الْأَمِيرَةُ عَنْ حَلِّهِ، وَاهْتَدَى أَخِيرًا لِأَنْ يَصْنَعَ مِنْ حَالِهِ لُغْزًا، فَهُوَ قَدْ رَهَنَ أَبَاهُ وَأُمَّهُ لِمُدَّةِ عَامٍ بِدُونِ أَجْرٍ، وَشَرِبَ مِنْ مَاءٍ لَمْ يَنْزِلْ مِنَ السَّمَاءِ أَوْ يَخْرُجْ مِنَ الْأَرْضِ، وَأَكَلَ حَيًّا مِنْ مَيِّتٍ. هَذَا هُوَ اللُّغْزُ الَّذِي سَتَعْجِزُ الْأَمِيرَةُ عَنْ حَلِّهِ.

وَحِينَ دَخَلَ مَجْلِسَ مَلِكِ الزَّمَانِ، سَأَلَهُ الْمَلِكُ وَقَالَ:

- هَلْ تَعْرِفُ لُغْزًا تَعْجِزُ الْأَمِيرَةُ عَنْ حَلِّهِ؟

أَجَابَ «سَرْحَانُ» وَقَالَ وَاثِقًا مِنْ نَفْسِهِ:

- نَعَمْ يَا مَوْلَايَ.

سَأَلَ الْمَلِكُ وَقَالَ:

- وَمَا اللُّغْزُ الَّذِي يُحَيِّرُ الْعُقُولَ وَالْأَذْهَانَ؟

قَالَ «سَرْحَانُ»:

- إِنَّهُ عَنْ شَابٍّ رَكِبَ أَبَاهُ، وَتَقَلَّدَ أُمَّهُ! وَشَرِبَ مِنْ مَاءٍ لَمْ يَنْبُعْ مِنَ الْأَرْضِ أَوْ يَهْبِطْ مِنَ السَّمَاءِ! وَأَكَلَ حَيًّا مِنْ مَيِّتٍ!

تَعَجَّبَ الْمَلِكُ.. وَأَمْهَلَ «سَرْحَانَ» يَوْمَيْنِ، يَأْتِي بَعْدَهُمَا لِيَسْمَعَ رَدَّ الْأَمِيرَةِ.

كَانَتْ «زَعْفَرَانُ» تَسْمَعُ مَا يَدُورُ مِنْ وَرَاءِ سِتَارٍ، فَتَعَجَّبَتْ مِمَّا سَمِعَتْ، وَفَكَّرَ عَقْلُهَا وَاحْتَارَ، وَأَعْلَنَتْ لِأَبِيهَا عَنْ عَجْزِهَا عَنِ الْحَلِّ، لَكِنَّهَا قَالَتْ فِي عِنَادٍ:

- قَبْلَ أَنْ يَنْتَهِيَ الْيَوْمَانِ سَأَكُونُ قَدْ عَرَفْتُ سِرَّ هَذَا الشَّابِّ.

أَرْسَلَتِ الْأَمِيرَةُ مَنْ يَبْحَثُ عَنْ «سَرْحَانَ» وَيَعْرِفُ أَيْنَ يُقِيمُ، عَادُوا يَقُولُونَ لَهَا إِنَّهُ يَسْتَأْجِرُ حُجْرَةً فِي بَيْتِ السَّيِّدَةِ الْعَجُوزِ. فَتَنَكَّرَتِ الْأَمِيرَةُ وَذَهَبَتْ إِلَى هُنَاكَ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ، وَاتَّفَقَتْ مَعَ الْعَجُوزِ أَنْ تَسْتَدْرِجَ «سَرْحَانَ» فِي الْكَلَامِ حَتَّى يَحْكِيَ لَهَا حِكَايَتَهُ وَهِيَ تَسْمَعُ مِنْ وَرَاءِ سِتَارٍ.

جَلَسَتِ الْعَجُوزُ مَعَ «سَرْحَانَ»، وَكَلِمَةٌ مِنْهَا وَكَلِمَةٌ مِنْهُ وَثِقَ فِيهَا وَحَكَى لَهَا حِكَايَتَهُ، وَحِينَ أَتَمَّهَا.. أَحَسَّ بِوُجُودِ أَحَدٍ خَلْفَ السِّتَارِ، يُصْغِي لِمَا يَدُورُ بَيْنَهُمَا مِنْ حِوَارٍ.

تَظَاهَرَ «سَرْحَانُ» بِأَنَّهُ لَمْ يَلْحَظْ شَيْئًا، لَكِنَّهُ ظَلَّ يُرَاقِبُ السِّتَارَ، وَحِينَ حَاوَلَتِ الْأَمِيرَةُ «زَعْفَرَانُ» الْخُرُوجَ مِنْ بَيْتِ الْعَجُوزِ، انْدَفَعَ نَحْوَهَا وَحَاوَلَ أَنْ يُمْسِكَ بِهَا، لَكِنَّهَا أَفْلَتَتْ مِنْهُ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا فِي يَدِهِ إِلَّا عِقْدُهَا.

وَفِي الصَّبَاحِ.. ذَهَبَ «سَرْحَانُ» إِلَى قَصْرِ مَلِكِ الزَّمَانِ، وَتَرَكَ الْأَمِيرَةَ تَتَبَاهَى عَلَيْهِ بِحَلِّ اللُّغْزِ، وَقَبْلَ أَنْ يَعْتَذِرَ لَهُ مَلِكُ الزَّمَانِ، وَيَطْلُبَ مِنْهُ الرَّحِيلَ إِلَى أَهْلِهِ، قَدَّمَ لَهُ عِقْدَ ابْنَتِهِ.

تَعَجَّبَ الْمَلِكُ.. كَيْفَ وَصَلَ هَذَا الْعِقْدُ إِلَى يَدِ «سَرْحَانَ»؟! وَاتَّهَمَهُ بِأَنَّهُ لِصٌّ جَبَانٌ، لَكِنَّ «سَرْحَانَ» هَدَّأَ مِنْ ثَوْرَةِ الْمَلِكِ، وَأَخْبَرَهُ بِأَنَّ وَرَاءَ هَذَا الْعِقْدِ حِكَايَةً، وَحَكَى لَهُ مَا جَرَى وَكَانَ، فَأَدْرَكَ الْمَلِكُ أَنَّ ابْنَتَهُ قَدْ خَدَعَتْ «سَرْحَانَ»، وَقَرَّرَ أَنْ يُزَوِّجَهُمَا، وَعَقَدَ الْقِرَانَ، وَأَقَامُوا الزِّينَاتِ وَالْأَفْرَاحَ، وَتَزَوَّجَ «سَرْحَانُ» الْأَمِيرَةَ «زَعْفَرَانَ»، وَأَحْضَرَ أَبَاهُ وَأُمَّهُ لِيَعِيشَا مَعَهُ فِي قَصْرِ مَلِكِ الزَّمَانِ.

النَّصِيحَةُ الْغَالِيَةُ

زَمَانٌ.. فِي ذَلِكَ الزَّمَنِ الَّذِي فَاتَ، كَانَ هُنَاكَ رَجُلٌ فَقِيرٌ، ضَاقَتْ بِهِ الدُّنْيَا فِي بَلَدِهِ وَقَلَّ عَلَيْهِ الرِّزْقُ، فَخَرَجَ يَسْعَى وَرَاءَ رِزْقِهِ، تَارِكًا زَوْجَتَهُ وَابْنَهُ، وَطَالَ بِهِ التَّرْحَالُ، وَكَثُرَتْ عَلَيْهِ الْأَعْمَالُ، وَفَتَحَ اللهُ لَهُ أَبْوَابَ الرِّزْقِ، وَمَرَّتْ عَلَيْهِ عِدَّةُ سَنَوَاتٍ وَهُوَ عَلَى هَذَا الْحَالِ، حَتَّى صَارَ عِنْدَهُ الْكَثِيرُ مِنَ الْمَوَاشِي وَالْأَغْنَامِ وَالْجِمَالِ. فَقَرَّرَ أَنْ يَعُودَ إِلَى زَوْجَتِهِ وَابْنِهِ، فَسَاقَ مَا أَعْطَاهُ اللهُ مِنْ مَالٍ، وَقَصَدَ أَهْلَهُ وَبَيْتَهُ.

سَارَ الرَّجُلُ فِي الصَّحْرَاءِ الْقَاحِلَةِ أَيَّامًا وَلَيَالِيَ، وَفَجْأَةً.. وَجَدَ أَمَامَهُ شَيْخًا عَجُوزًا يَجْلِسُ أَمَامَ خَيْمَةٍ صَغِيرَةٍ عَلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَرَدَّ الْعَجُوزُ السَّلَامَ، فَسَأَلَهُ وَقَالَ لَهُ:

ـ لِمَاذَا تَجْلِسُ وَحْدَكَ هَكَذَا يَا عَمُّ تَحْتَ وَهَجِ الشَّمْسِ فِي هَجِيرِ الصَّحْرَاءِ؟

رَدَّ الشَّيْخُ وَقَالَ:

- أَنَا أَعْمَلُ فِي التِّجَارَةِ يَا وَلَدِي.

نَظَرَ الرَّجُلُ حَوْلَهُ فَلَمْ يَجِدْ لِلشَّيْخِ أَيَّ شَيْءٍ يُوحِي بِأَنَّهُ تَاجِرٌ. فَعَادَ يَسْأَلُهُ مُتَعَجِّبًا وَيَقُولُ:

- مَاذَا تَبِيعُ أَيُّهَا الشَّيْخُ وَمَاذَا تَشْتَرِي؟

أَجَابَ الشَّيْخُ وَقَالَ:

- أَبِيعُ النَّصَائِحَ.

تَعَجَّبَ الرَّجُلُ وَقَالَ:

- تَبِيعُ النَّصَائِحَ!!! وَبِكَمِ النَّصِيحَةُ؟

أَجَابَ الشَّيْخُ وَقَالَ:

- النَّصِيحَةُ بِبَعِيرٍ.

وَبِرَغْـمِ أَنَّ الثَّمَنَ غَالٍ جِدًّا، وَأَنَّ الرَّجُلَ قَـدْ تَعِبَ وَعَرِقَ كَثِيرًا فِي الْحُصُولِ عَلَى مَالِهِ وَحَلَالِهِ، فَقَدْ قَالَ لِلرَّجُلِ:

- أَعْطِنِي نَصِيحَةً وَسَأُعْطِيكَ بَعِيرًا.

قَالَ الْعَجُوزُ نَاصِحًا:

- إِذَا طَلَعَ سُهَيْلٌ فَلَا تَأْمَنْ لِلسَّيْلِ.

لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ تَعَجَّبَ الرَّجُلُ، فَمِنْ أَيْنَ يَأْتِي السَّيْلُ إِلَى هَذِهِ الْبِلَادِ الْجَافَّةِ الْقَاحِلَةِ؟!

وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ تَرَكَ بَعِيرًا لِلشَّيْخِ، وَوَاصَلَ سَيْرَهُ بِمَا مَعَهُ مِنْ مَاشِيَةٍ وَجِمَالٍ وَأَغْنَامٍ، فِي الطَّرِيقِ إِلَى بَلَدِهِ.

وَمَرَّتْ أَيَّامٌ وَلَيَالٍ عَلَى الرَّجُلِ وَهُوَ سَائِرٌ بِمَالِهِ فِي الصَّحْرَاءِ، نَسِيَ خِلَالَهَا الشَّيْخَ وَالنَّصِيحَةَ وَحَتَّى الْبَعِيرَ الَّذِي دَفَعَهُ ثَمَنًا لَهَا. وَصَارَ كُلُّ هَمِّهِ أَنْ يَجِدَ مَصْدَرًا لِلْمَاءِ

يَمْلَأُ مِنْهُ قِرْبَتَهُ، وَيَرْوِي عَطَشَ إِبِلِهِ وَأَغْنَامِهِ. وَبَدَأَ الْقَلَقُ يَعْرِفُ طَرِيقَهُ إِلَى قَلْبِهِ.

لَمْ يَقْلَقِ الرَّجُلُ عَلَى الْجِمَالِ؛ فَهُوَ يَعْرِفُ أَنَّ لَهَا قُدْرَةً عَلَى الصَّبْرِ عَلَى الْعَطَشِ، أَمَّا هُوَ وَالْمَاشِيَةُ وَالْأَغْنَامُ فَلَا صَبْرَ لَهُمْ عَلَيْهِ، فَالْعَطَشُ يُجْهِدُهُمْ وَيُجَفِّفُ أَجْسَادَهُمْ.. خَاصَّةً وَصَهَدُ الْحَرِّ يَلْفَحُ وُجُوهَهُمْ، وَحَرَارَةُ الشَّمْسِ تَلْسَعُ جُلُودَهُمْ. وَكَادَ الْمَاءُ الَّذِي يَحْمِلُهُ يَنْفَدُ مِنْهُ.

مَدَّ الرَّجُلُ يَدَهُ إِلَى قِرْبَةِ الْمَاءِ لِيَأْخُذَ مِنْهَا رَشْفَةً أَوْ رَشْفَتَيْنِ يُبَلِّلُ بِهِمَا حَلْقَهُ، فَفُوجِئَ بِهَا فَارِغَةً، ظَنَّ أَنَّهُ هَالِكٌ بِمَا مَعَهُ مِنْ مَالٍ. رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ يَدْعُو اللهَ أَنْ يُرْسِلَ إِلَيْهِمْ سَحَابَةً تُسْقِطُ عَلَيْهِمْ مَاءَهَا أَوْ عَلَى الْأَقَلِّ تُظَلِّلُهُمْ.

بَعْدَهَا رَأَى طُيُورًا تُرَفْرِفُ فَوْقَ مَكَانٍ قَرِيبٍ مِنْهُ، فَقَادَ مَاشِيَتَهُ وَجِمَالَهُ نَاحِيَتَهُ.

عِنْـدَ الْمَسَـاءِ.. وَصَلَ الرَّجُلُ إِلَى الْمَـكَانِ الَّذِي دَلَّتْهُ الطُّيُورُ عَلَيْهِ، وَوَجَدَ أُنَاسًـا كَثِيرِيـنَ قَـدْ نَصَبُوا خِيَامَهُمْ فِي قَاعِ وَادٍ كَبِيرٍ، بِهِ عَيْنُ مَاءٍ وَأَعْشَـابٌ وَأَشْـجَارٌ، نَزَلَ ضَيْفًـا عَلَيْهِمْ، تَعَشَّـى مَعَ كَبِيرِهِمْ كَالْعَادَةِ، وَاسْـتَأْذَنَهُ فِي الْمَبِيـتِ مَعَهُمْ، فَرَحَّبَ بِهِ الرَّجُلُ وَتَرَكَهُ يَبِيتُ عِنْدَهُمْ.

وَجَـاءَ اللَّيْـلُ وَأَظْلَمَتِ الدُّنْيَا، وَبَانَتِ النُّجُومُ، وَجَلَـسَ صَاحِبُنَا فِي الْعَرَاءِ يَتَأَمَّلُ خَلْقَ اللهِ، رَأَى النَّجْمَ سُـهَيْلًا سَاطِعًا فِي السَّمَاءِ، تَذَكَّرَ نَصِيحَةَ الرَّجُلِ الْعَجُوزِ الَّتِي اشْـتَرَاهَا بِبَعِيرٍ.. وَهِيَ إِذَا طَلَعَ سُـهَيْلٌ فَلَا تَأْمَنْ لِلسَّـيْلِ، فَهَبَّ مَذْعُورًا يُوقِظُ كَبِيرَ الْقَوْمِ، وَأَخْبَرَهُ بِالنَّصِيحَةِ وَقِصَّتِهَا، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُوقِظَ قَوْمَهُ وَيُحَذِّرَهُمْ مِنَ السَّيْلِ الْقَادِمِ إِلَيْهِمْ.

رَفَـضَ الرَّجُلُ النَّصِيحَةَ، وَسَـخِرَ مِنْ ضَيْفِـهِ وَاتَّهَمَهُ بِقِلَّةِ الْعَقْـلِ، لَكِنَّ صَاحِبَنَا عَمِلَ بِالنَّصِيحَةِ وَقَالَ لِلرَّجُلِ:

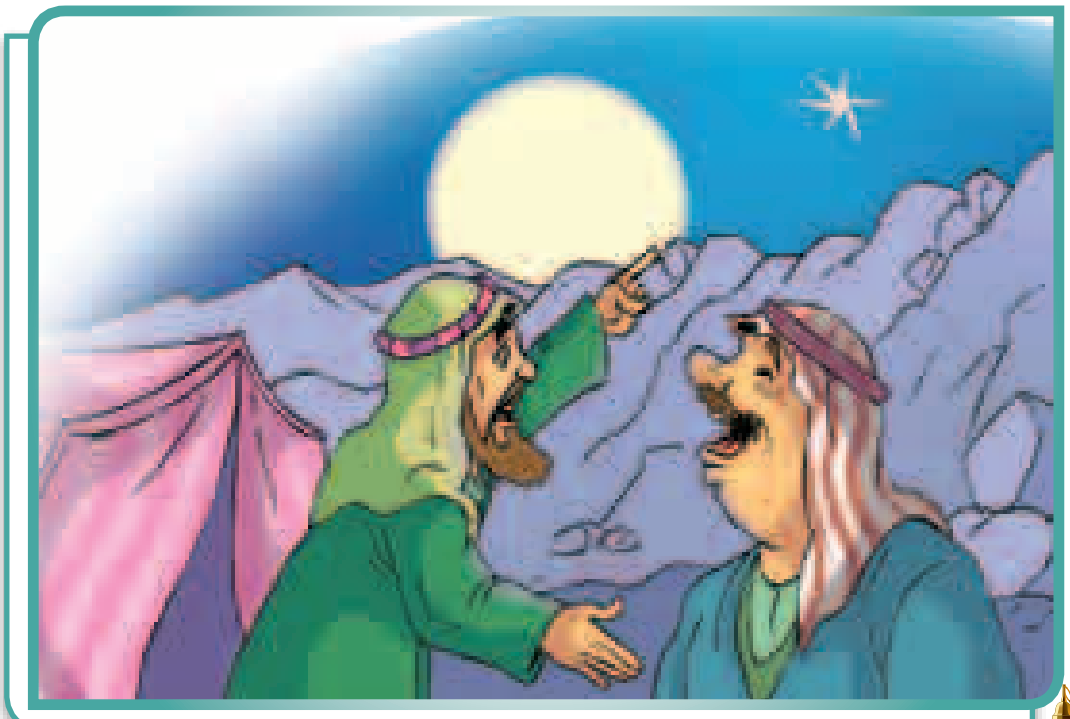

- وَاللهِ.. لَقَدِ اشْتَرَيْتُ النَّصِيحَةَ بِبَعِيرٍ، وَلَنْ أَنَامَ فِي قَاعِ هَذَا الْوَادِي.

أَخَذَ الرَّجُلُ مَاشِيَتَهُ وَبَعِيرَهُ وَوَدَّعَ صَاحِبَهُ، وَصَعِدَ إِلَى مَكَانٍ مُرْتَفِعٍ عَلَى جَانِبِ الْوَادِي، وَبَاتَ فِيهِ هُوَ وَمَالُهُ وَحَلَالُهُ.

وَفِي آخِرِ اللَّيْلِ، جَاءَ السَّيْلُ يَهْدِرُ كَالرَّعْدِ وَأَغْرَقَ الْوَادِيَ بِمَنْ فِيهِ. وَلَمْ يَنْجُ مِنَ السَّيْلِ إِلَّا عَدَدٌ مِنْ مَوَاشِي الْقَوْمِ وَإِبِلِهِمْ، وَدَفَعَ الْبَاقُونَ حَيَاتَهُمْ ثَمَنًا لِعَدَمِ سَمَاعِهِمُ النَّصِيحَةَ.

ضَمَّ الرَّجُلُ مَا نَجَا مِنَ مَوَاشِي الْقَوْمِ إِلَى مَالِهِ، وَوَاصَلَ سَيْرَهُ فِي الطَّرِيقِ إِلَى أَهْلِهِ، وَهُوَ يَقُولُ لِنَفْسِهِ:

- وَاللهِ.. إِنَّ النَّصِيحَةَ لَا تُقَدَّرُ بِثَمَنٍ إِذَا فَهِمْنَاهَا وَعَمِلْنَا بِهَا فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ.

وَوَصَلَ الرَّجُلُ إِلَى أَهْلِهِ سَالِمًا غَانِمًا، فَفَرِحُوا بِهِ وَفَرِحَ بِهِمْ، وَعَاشُوا مَعًا.. وَقَدْ تَبَدَّلَ حَالُهُمْ مِنَ الْفَقْرِ إِلَى الْغِنَى بِفَضْلِ عَزِيمَةِ وَصَبْرِ رَجُلِهِمْ، وَعَمَلِهِ بِالنَّصِيحَةِ الَّتِي اشْتَرَاهَا بِبَعِيرٍ.

الْأَمِيرُ وَالشَّيْخُ الْكَبِيرُ

زَمَانٌ.. فِي ذَلِكَ الزَّمَنِ الَّذِي فَاتَ، كَانَ يَعِيشُ أَمِيرٌ يُحِبُّ النَّاسَ حُبًّا كَبِيرًا؛ يَجْلِسُ وَسَطَهُمْ، وَيَسْمَعُ شَكْوَاهُمْ، وَيُعْطِي الْمُحْتَاجَ وَالْمِسْكِينَ، وَيَسْعَى دَائِمًا لِأَنْ يَجْعَلَ حَيَاةَ النَّاسِ سَهْلَةً وَمُرِيحَةً، فَعَاشَ النَّاسُ عِيشَةً هَنِيَّةً رَاضِيَةً.

كَانَ هَذَا الْأَمِيرُ يُحِبُّ الْأَذْكِيَاءَ وَيُقَرِّبُهُمْ مِنْهُ، وَيَسْتَشِيرُهُمْ فِي كُلِّ الْأُمُورِ. وَذَاتَ يَوْمٍ تَقَرَّبَ مِنَ الْأَمِيرِ شَيْخٌ كَبِيرٌ، فَأَرَادَ الْأَمِيرُ أَنْ يَخْتَبِرَ ذَكَاءَهُ، فَقَالَ لَهُ:

- أُرِيدُكَ أَنْ تَأْتِيَ غَدًا وَقَدْ ذَبَحْتَ شَاةً وَقَسَّمْتَهَا إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ مُتَسَاوِيَةٍ.

قَالَ الرَّجُلُ:

- السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ.

انْصَرَفَ الشَّيْخُ مِنْ عِنْدِ الْأَمِيرِ وَهُوَ مُحْتَارٌ، عَادَ إِلَى بَيْتِهِ مَهْمُومًا، شَعَرَتِ ابْنَتُهُ الصُّغْرَى بِهَمِّهِ، فَأَسْرَعَتْ إِلَيْهِ وَقَالَتْ لَهُ:

- مَاذَا بِكَ يَا أَبِي؟ أَرَاكَ مَهْمُومًا.

رَدَّ الْأَبُ عَلَى ابْنَتِهِ وَقَالَ:

- لَقَدْ طَلَبَ الْأَمِيرُ أَنْ أُقَسِّمَ شَاةً مَذْبُوحَةً إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ مُتَسَاوِيَةٍ، وَلَا أَفْهَمُ مَاذَا يَقْصِدُ.

قَالَتِ الْبِنْتُ لِوَالِدِهَا:

- هَذَا أَمْرٌ بَسِيطٌ.. لَا تَحْمِلْ لَهُ هَمًّا، اذْهَبْ وَأَحْضِرْ لِيَ الشَّاةَ الْمَذْبُوحَةَ، وَسَأُقَسِّمُهَا إِنْ شَاءَ اللهُ كَمَا يُرِيدُ الْأَمِيرُ.

كَانَتِ الْبِنْتُ قَدْ فَهِمَتْ قَصْدَ الْأَمِيرِ، وَعَرَفَتْ أَنَّهُ يُرِيدُ الْأَقْسَامَ الثَّلَاثَةَ الَّتِي تُحَدِّدُ تَصَرُّفَاتِ الْإِنْسَانِ، وَعَلَاقَتَهُ بِغَيْرِهِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ.. وَانْتَظَرَتْ حَتَّى جَاءَ أَبُوهَا بِالشَّاةِ الْمَذْبُوحَةِ وَقَسَّمَتْهَا إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

الْأَوَّلُ وَضَعَتْ فِيهِ الْقَلْبَ وَاللِّسَانَ، وَالثَّانِي وَضَعَتْ فِيهِ الْيَدَيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ، وَالثَّالِثُ وَضَعَتْ فِيهِ الْعَيْنَيْنِ وَالْأُذُنَيْنِ، وَقَالَتْ لِوَالِدِهَا:

- هَذِهِ هِيَ الْأَقْسَامُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي يُرِيدُهَا الْأَمِيرُ. اذْهَبْ بِهَا إِلَيْهِ.

وَتَعَاوَنَتْ مَعَ أَخَوَاتِهَا وَقَطَّعْنَ لَحْمَ الشَّاةِ إِلَى شَرَائِحَ، وَوَضَعْنَ الْمِلْحَ عَلَيْهَا، وَعَلَّقْنَهَا عَلَى حِبَالٍ فِي الشَّمْسِ لِتَجِفَّ.

وَصَلَ الشَّيْخُ بِأَقْسَامِ الشَّاةِ إِلَى الْأَمِيرِ، الَّذِي تَعَجَّبَ مِنَ الطَّرِيقَةِ الَّتِي قُسِّمَتْ بِهَا، فَهَذِهِ هِيَ الْقِسْمَةُ الَّتِي كَانَ يَقْصِدُهَا.. فَسَأَلَ الشَّيْخَ وَقَالَ:

- مَنِ الَّذِي تَوَصَّلَ إِلَى هَذِهِ الْقِسْمَةِ؟

أَجَابَ الشَّيْخُ صَادِقًا وَقَالَ:

- إِنَّهَا ابْنَتِي الصُّغْرَى يَا سَيِّدِي.

أُعْجِبَ الْأَمِيرُ بِعَقْلِ الْبِنْتِ وَذَكَائِهَا وَسُرْعَةِ بَدِيهَتِهَا، وَقَالَ لِلشَّيْخِ:

- مِثْلُ هَذِهِ الْبِنْتِ تَصْلُحُ لِأَنْ تَكُونَ زَوْجَةً لِي. هَلْ تَقْبَلُ أَنْ تُزَوِّجَنِي ابْنَتَكَ؟

وَافَقَ الشَّيْخُ عَلَى الْفَوْرِ، فَقَالَ لَهُ الْأَمِيرُ:

- إِذَنْ أَبْلِغِ ابْنَتَكَ بِأَنِّي أُرِيدُ أَنْ يَتِمَّ كُلُّ شَيْءٍ غَدًا، وَبَعْدَ غَدٍ أُرِيدُهَا أَنْ تَلِدَ لِي وَلَدًا.

دُهِشَ الشَّيْخُ وَتَأَكَّدَ أَنَّهُ وَقَعَ فِي وَرْطَةٍ جَدِيدَةٍ، لَكِنَّهُ ذَهَبَ إِلَى بَيْتِهِ وَقَالَ لِابْنَتِهِ مَا قَالَهُ الْأَمِيرُ. فَأَدْرَكَتِ الْبِنْتُ أَنَّ الْأَمِيرَ يَضَعُهَا فِي اخْتِبَارِ ذَكَاءٍ جَدِيدٍ، وَقَالَتْ لِوَالِدِهَا:

- أُوَافِقُ.

صَاحَ الشَّيْخُ فِي وَجْهِ ابْنَتِهِ وَقَالَ:

- وَالِابْنُ الَّذِي يُرِيدُ أَنْ تَلِدِيهِ لَهُ بَعْدَ غَدٍ؟!

ضَحِكَتِ الْبِنْتُ وَقَالَتْ لِوَالِدِهَا:

- سَأَتَدَبَّرُ الْأَمْرَ.. لَا تَقْلَقْ.

فِي الْمَسَاءِ.. عَقَدَ الْأَمِيرُ الْقِرَانَ، وَفِي الصَّبَاحِ طَلَبَتِ الْبِنْتُ مِنْ أَخَوَاتِهَا أَنْ يُسَاعِدْنَهَا فِي تَجْهِيزِ حَاجِيَّاتِ الزَّوَاجِ، وَاسْتَطَاعَتْ بِذَكَائِهَا وَحُسْنِ تَدْبِيرِهَا تَنْفِيذَ كُلِّ الْأُمُورِ عَلَى أَحْسَنِ حَالٍ، وَلَمْ يَأْتِ الْمَسَاءُ إِلَّا وَكَانَ كُلُّ شَيْءٍ عَلَى خَيْرِ مَا يُرَامُ.

زُفَّتِ الْعَرُوسُ إِلَى قَصْرِ الْأَمِيرِ، وَعِنْدَ بَابِ الْقَصْرِ تَوَقَّفَتْ وَرَفَضَتِ الدُّخُولَ، دُهِشَ كُلُّ الْحَاضِرِينَ، وَتَسَاءَلُوا عَنْ سَبَبِ رَفْضِ الْعَرُوسِ دُخُولَ الْقَصْرِ، فَطَلَبَتْ مِنْهُمُ الصَّبْرَ.. وَسَيَعْرِفُونَ.

نَاوَلَتِ الْعَرُوسُ جَارِيَةً مِنَ الْجَوَارِي نَوَاةَ تَمْرَةٍ، وَأَمَرَتْهَا أَنْ تَذْهَبَ بِهَا إِلَى الْأَمِيرِ وَتُعْطِيَهَا لَهُ، وَتُخْبِرَهُ بِأَنَّهَا تُرِيدُ مِنْهُ أَنْ يَزْرَعَهَا تَحْتَ شُبَّاكِ غُرْفَتِهَا، وَلَابُدَّ أَنْ تَكْبُرَ وَتَعْلُوَ حَتَّى تَطُولَ الشُّبَّاكَ، وَأَنْ تُثْمِرَ بَلَحًا، حَتَّى إِذَا أَطَلَّ وَلَدُهُمَا الَّذِي سَتَلِدُهُ غَدًا مِنَ الشُّبَّاكِ، يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَنَاوَلَ التَّمْرَ مِنَ النَّخْلَةِ بِيَدَيْهِ.

أَسْرَعَتِ الْجَارِيَةُ وَنَاوَلَتِ الْأَمِيرَ نَوَاةَ التَّمْرَةِ، وَأَبْلَغَتْهُ بِمَا قَالَتْهُ الْعَرُوسُ. فَرِحَ الْأَمِيرُ كَثِيرًا وَضَحِكَ عَالِيًا، وَازْدَادَ إِعْجَابًا بِذَكَاءِ عَرُوسِهِ وَحُسْنِ تَصَرُّفِهَا، وَأَسْرَعَ يَسْتَقْبِلُهَا بِنَفْسِهِ عِنْدَ بَابِ الْقَصْرِ. وَيُعْلِنُ أَنَّهُ تَنَازَلَ عَنْ كُلِّ شُرُوطِهِ، وَلْيَأْتِ الِابْنُ أَوِ الِابْنَةُ حِينَ يَشَاءُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

لَبَنُ النَّاقَةِ

زَمَانٌ.. فِي ذَلِكَ الزَّمَنِ الَّذِي فَاتَ.. كَانَ يَعِيشُ رَجُلٌ رَزَقَهُ اللهُ الْكَثِيرَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْمَوَاشِي وَالنُّوقِ وَالْجِمَالِ، وَكَانَ الرَّجُلُ يَتَصَدَّقُ بِكَثِيرٍ مِنْ مَالِهِ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ، وَلَا تُنْقِصُ صَدَقَتُهُ مِنْ مَالِهِ، بَلْ تَجْعَلُهُ يَزِيدُ وَيَكْثُرُ.

وَفِي أَحَدِ أَيَّامِ الرَّبِيعِ، ذَهَبَ الرَّجُلُ إِلَى الْمَرَاعِي يَتَفَقَّدُ مَالَهُ وَحَلَالَهُ الَّذِي يَرْعَى فِي الصَّحْرَاءِ، فَوَجَدَهَا كُلَّهَا سَمِينَةً، وَوَجَدَ ضُرُوعَ النُّوقِ مَمْلُوءَةً بِاللَّبَنِ، فَحَمِدَ اللهَ كَثِيرًا عَلَى مَا أَعْطَاهُ.

أُعْجِبَ الرَّجُلُ بِنَاقَةٍ عَالِيَةٍ، يَتَبَخْتَرُ ابْنُهَا خَلْفَهَا مَوْفُورَ الصِّحَّةِ وَالْجَمَالِ، وَهُنَا تَذَكَّرَ جَارَهُ الْحَطَّابَ الْفَقِيرَ الَّذِي يَعُولُ سَبْعَ بَنَاتٍ وَلَا يَمْلِكُ شَيْئًا، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ:

- وَاللهِ لَأُهْدِيَنَّهُ هَذِهِ النَّاقَةَ الَّتِي أَعْجَبَتْنِي.

وَفِي الْمَسَاءِ.. كَانَ يَدُقُّ بَابَ جَارِهِ، وَيُهْدِيهِ النَّاقَةَ وَوَلَدَهَا. فَرِحَ الْفَقِيرُ بِالْهَدِيَّةِ الَّتِي جَاءَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ.. وَشَكَرَ اللهَ وَشَكَرَ جَارَهُ الْغَنِيَّ،

وَعَاشَ عَلَى لَبَنِهَا هُوَ وَبَنَاتُهُ،

وَصَارَتِ النَّاقَةُ تَحْمِلُ

عَنْهُ الْحَطَبَ الَّذِي يَجْمَعُهُ، وَتَذْهَبُ بِهِ إِلَى السُّوقِ، لِيَبِيعَهُ. وَأَعْطَاهُ اللهُ الْخَيْرَ الْكَثِيرَ مِنْ وَرَاءِ هَدِيَّةِ جَارِهِ الْغَنِيِّ.

وَانْتَهَى الرَّبِيعُ وَجَاءَ الصَّيْفُ بِجَفَافِهِ وَحَرِّهِ وَصَهَدِهِ، وَتَشَـقَّقَتِ الْأَرْضُ، وَصَارَ عَلَى الرَّجُلِ الْغَنِيِّ أَنْ يُسَاعِدَ أَوْلَادَهُ الثَّلَاثَةَ فِي التَّرْحَالِ بِالْمَوَاشِي وَالنُّوقِ وَالْجِمَالِ؛ بَحْثًا عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ.

ذَهَبُوا بَعِيدًا فِي أَعْمَاقِ الصَّحْرَاءِ، وَصَلُوا إِلَى مَكَانٍ بِهِ الْكَثِيرُ مِنَ الْعُشْبِ، تَأَكَّدُوا أَنَّ بِـهِ مَصْـدَرَ مَـاءٍ، بَحَثُوا عَنْهُ فِي كُلِّ مَـكَانٍ، وَأَخِيرًا وَجَدَ الْأَبُ خَمِيلَـةً كَثِيفَةً مِنَ الْأَعْشَابِ تَسُدُّ فُوَّهَةَ كَهْفٍ وَاسِعٍ، تَأَكَّدَ أَنَّ نَبْعَ الْمَاءِ فِي دَاخِلِهَا، وَقَرَّرَ الدُّخُولَ إِلَيْهِ لِيَغْرِفَ مِنْهُ لِلْأَوْلَادِ وَالْحَيَوَانَاتِ.

غَـابَ الْأَبُ فِي الدَّاخِـلِ، وَلَمْ يَجْـرُؤْ وَاحِدٌ مِنَ الْأَوْلَادِ عَـلَى الدُّخُولِ، خَافُوا أَنْ يَكُـونَ الْكَهْفُ مَسْـكُونًا بِالثَّعَابِينِ وَالْوُحُوشِ، وَانْتَظَرُوا أَبَاهُـمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَلَمَّا لَمْ يَخْرُجْ.. يَئِسُوا مِنْ خُرُوجِهِ وَأَخَذُوا مَالَهُمْ وَعَادُوا إِلَى الدِّيَارِ.

جَلَـسَ الْأَوْلَادُ يُوَزِّعُـونَ مِيرَاثَهُمْ.. تَذَكَّرُوا النَّاقَـةَ الَّتِي أَهْدَاهَـا وَالِدُهُمْ لِلْجَارِ الْحَطَّابِ.. فَذَهَبُوا إِلَيْهِ، وَدَقُّوا عَلَى بَابِهِ، وَلَمَّا خَرَجَ لَهُمْ قَالُوا لَهُ:

- أَعْطِنَا النَّاقَةَ وَابْنَهَا خَيْرٌ لَكَ.

قَالَ الرَّجُلُ مُتَعَجِّبًا:

- إِنَّ أَبَاكُمْ أَهْدَاهَا لِي.

قَالُوا:

- سَنُعْطِيكَ جَمَلًا بَدَلًا مِنْهَا.

قَالَ مُتَوَسِّلًا:

- نَحْنُ نَتَعَشَّى وَنَتَغَدَّى مِنْ لَبَنِهَا.

قَالُوا فِي حِدَّةٍ:

- سَنَأْخُذُهَا الْآنَ رَغْمًا عَنْكَ.

قَالَ الْحَطَّابُ مُتَأَلِّمًا:

- سَأَشْكُوكُمْ لِأَبِيكُمْ.

قَالُوا:

- أَبُونَا مَاتَ فِي كَهْفٍ فِي الصَّحْرَاءِ.

حَزِنَ الرَّجُلُ عَلَى مَوْتِ جَارِهِ، وَقَالَ لِأَوْلَادِهِ:

- خُذُوا النَّاقَةَ وَلَا أُرِيدُ جَمَلَكُمْ، لَكِنْ بِشَرْطِ أَنْ تَدُلُّونِي عَلَى الطَّرِيقِ إِلَى ذَلِكَ الْكَهْفِ الَّذِي تَقُولُونَ إِنَّ وَالِدَكُمْ مَاتَ فِيهِ. نَفْسِي تُحَدِّثُنِي أَنَّهُ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ.

أَخَذَ الْأَبْنَاءُ النَّاقَةَ مِنَ الْحَطَّابِ، وَأَخْبَرُوهُ بِمَكَانِ الْكَهْفِ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ أَبُوهُمْ، أَخَذَ الْحَطَّابُ مَاءً وَتَمْرًا وَأَسْرَعَ إِلَى الْكَهْفِ، وَحِينَ وَصَلَ إِلَيْهِ، رَبَطَ نَفْسَهُ

فِي طَرَفِ حَبْلٍ طَوِيلٍ، وَرَبَطَ الطَّرَفَ الْآخَرَ فِي جِذْعِ شُجَيْرَةٍ، وَأَوْقَدَ النَّارَ فِي شُعْلَةٍ وَدَخَلَ الْكَهْفَ، وَتَشَعَّبَتِ الطُّرُقُ أَمَامَهُ، فَسَارَ فِي الرَّطْبِ مِنْهَا.

ضَاقَتِ الطُّرُقُ فِي الدَّاخِلِ عَلَى الْحَطَّابِ حَتَّى صَارَتْ كَالسَّرَادِيبِ، فَصَارَ يَحْبُو عَلَى أَرْبَعٍ، وَيَدْخُلُ مِنْ سِرْدَابٍ إِلَى سِرْدَابٍ حَتَّى هَبَطَتْ بِهِ الْأَرْضُ فَجْأَةً فِي مُنْحَدَرٍ، فَتَدَحْرَجَ وَانْطَفَأَتْ مِنْهُ الشُّعْلَةُ.

حِينَ اسْتَقَرَّ الْحَطَّابُ فِي الْقَاعِ.. سَمِعَ أَنِينًا خَافِتًا، فَزَحَفَ نَاحِيَتَهُ فِي الظَّلَامِ وَهُوَ يَتَحَسَّسُ الْأَرْضَ أَمَامَهُ، لَمَسَتْ يَدُهُ جَسَدَ صَاحِبِهِ، رَبَطَهُ مَعَهُ فِي الْحَبْلِ، وَاتَّخَذَ مِنَ الْحَبْلِ دَلِيلًا فِي طَرِيقِ الرُّجُوعِ، وَحِينَ وَصَلَ إِلَى السِّرْدَابِ الْوَاسِعِ، رَبَطَ عَيْنَيْ صَاحِبِهِ؛ حَتَّى لَا يُؤْذِيَهَا الضَّوْءُ فِي الْخَارِجِ، ثُمَّ حَمَلَهُ عَلَى كَتِفِهِ وَخَرَجَ بِهِ، ثُمَّ أَرَاحَهُ عَلَى الْأَرْضِ، وَسَقَاهُ مَاءً وَأَطْعَمَهُ تَمْرًا، ثُمَّ حَمَلَهُ عَلَى ظَهْرِهِ وَرَاحَ بِهِ إِلَى دَارِهِ لِيَعْتَنِيَ بِهِ.

بَعْدَ أُسْبُوعٍ.. دَبَّتِ الْحَيَاةُ فِي الرَّجُلِ، وَعَادَ إِلَى طَبِيعَتِهِ، فَقَالَ لَهُ الْحَطَّابُ:

- بِاللهِ عَلَيْكَ أَخْبِرْنِي.. كَيْفَ بَقِيتَ حَيًّا تَحْتَ الْأَرْضِ لِمُدَّةِ أُسْبُوعٍ دُونَ طَعَامٍ أَوْ شَرَابٍ؟

رَاحَ الرَّجُلُ يَحْكِي مَا جَرَى لَهُ وَيَقُولُ:

- ضَلَلْتُ طَرِيقِي فِي الدَّاخِلِ، وَلَمْ أَعْرِفْ طَرِيقَ الْخُرُوجِ فِي الظَّلَامِ، فَأَسْلَمْتُ أَمْرِي لِلهِ، وَاسْتَلْقَيْتُ عَلَى ظَهْرِي، وَفِي الظَّلَامِ شَعَرْتُ بِلَبَنٍ يَتَدَفَّقُ عَلَى لِسَانِي، وَصَارَ ذَلِكَ يَتَكَرَّرُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي الْيَوْمِ، لَكِنَّهُ انْقَطَعَ الْيَوْمَ وَلَا أَدْرِي لِمَاذَا!

ابْتَسَمَ الْحَطَّابُ وَقَالَ:

- هَذَا لَبَنُ نَاقَتِكَ الَّتِي أَهْدَيْتَهَا لِي، وَانْقَطَعَ؛ لِأَنَّ أَوْلَادَكَ أَخَذُوهَا.

الْجَدَّةُ وَالصَّبِيُّ

زَمَـانٌ.. فِي ذَلِكَ الزَّمَنِ الَّذِي فَـاتَ، كَانَتْ هُنَاكَ قَرْيَةٌ صَغِيرَةٌ وَسَـطَ الصَّحْرَاءِ، أَرْضُهَـا خِصْبَةٌ، تُزْرَعُ فِيهَا كُلُّ الْمَحَاصِيلِ، تَرْوِيهَا عَيْنُ مَاءٍ صَافٍ.. تَنْسَـابُ مِنْهَا الْمِيَاهُ دُونَ انْقِطَاعٍ، وَتَأْتِي الْمَحَاصِيلُ بِالرِّزْقِ الْوَفِيرِ لِكُلِّ الْفَلَّاحِينَ فِي الْقَرْيَةِ.

فِي هَـذِهِ الْقَرْيَةِ كَانَـتْ هُنَاكَ جَدَّةٌ عَجُـوزٌ، تَعِيشُ وَحْدَهَا مِنْ خَيْـرِ أَرْضِهَا، فَقَدْ هَاجَـرَ أَبْنَاؤُهَا جَمِيعًا إِلَى الْمَدِينَةِ، وَاسْـتَأْجَرَتْ مَنْ يَـزْرَعُ لَهَا أَرْضَهَا، وَيَحْصُدُ لَهَا مَحْصُولَهَا، وَيُكَوِّمُهُ فِي أَجْوِلَةٍ فِي دَارِهَا.

وَذَاتَ يَوْمٍ، جَاءَ أَحَدُ أَحْفَادِ الْجَدَّةِ الْعَجُوزِ لِزِيَارَتِهَا وَقَضَاءِ الْإِجَازَةِ مَعَهَا، كَانَ صَبِيًّـا اسْـمُهُ «حَدِيدَانُ»، صَارَتْ تُدَلِّلُـهُ وَتَرْعَاهُ وَتُقَدِّمُ لَهُ كُلَّ يَـوْمٍ فُطُورًا مِنْ صُنْعِ يَدَيْهَا، وَالصَّبِيُّ سَـعِيدٌ بِمَا تَصْنَعُهُ جَدَّتُهُ، وَسَـعِيدٌ بِانْطِلَاقِهِ وَسَـطَ الْحُقُولِ يُدَاعِبُ الطُّيُورَ وَالْعَصَافِيرَ.

وَذَاتَ يَـوْمٍ.. قَدَّمَـتِ الْجَدَّةُ لِحَفِيدِهَـا كُوبًا مِنَ اللَّبَـنِ الْحَلِيـبِ، وَقِطْعَتَيْنِ مِنَ الْجُبْنِ، وَرَغِيفًا كَبِيرًا خَبَزَتْهُ بِيَدَيْهَا فِي التَّنُّورِ.

نَظَـرَ «حَدِيـدَانُ» إِلَى الرَّغِيـفِ، فَوَجَـدَهُ مَمْطُوطًا وَلَيْـسَ مُدَوَّرًا كَالْقَمَـرِ فِي لَيْلَةِ الْبَدْرِ، مَطَّ شَفَتَيْهِ إِلَى الْأَمَامِ وَقَالَ لَهَا:

ـ مَا هَذَا يَا جَدَّتِي؟! الْأَرْغِفَةُ الَّتِي تَصْنَعِينَهَا تَكُونُ فِي الْعَادَةِ دَائِرِيَّةً، أَمَّا هَذَا فَشَكْلُهُ بَشِعٌ!

قَـالَ «حَدِيدَانُ» هَـذَا الْـكَلَامَ، وَأَزَاحَ الرَّغِيفَ بِيَـدِهِ بَعِيدًا، فَوَقَعَ عَـلَى الْأَرْضِ، انْحَنَـتِ الْجَدَّةُ الْعَجُـوزُ وَأَحْضَرَتِ الرَّغِيفَ، وَرَاحَتْ تَنْفُخُ التُّـرَابَ الَّذِي عَلِقَ بِهِ وَهِيَ تَتَأَلَّمُ، وَتَقُولُ:

ـ أَبَعْـدَ كُلِّ هَذَا الْجُهْدِ الَّـذِي بَذَلْتُهُ مِنْ أَجْلِكَ تَرْمِي الرَّغِيفَ عَلَى الْأَرْضِ؟! أَهَذَا جَزَائِي مِنْكَ؟

تَضَايَقَ «حَدِيدَانُ» مِنْ كَلَامِ جَدَّتِهِ، وَقَالَ لَهَا فِي حِدَّةٍ:

ـ وَمَا الَّذِي حَدَثَ؟ هَلْ خَرِبَتِ الدُّنْيَا؟

لَـمْ يُدْرِكْ «حَدِيدَانُ» أَنَّـهُ أَخْطَأَ مَرَّتَيْنِ حَتَّى الْآنَ، مَرَّةً حِيـنَ تَذَمَّرَ وَأَزَاحَ رَغِيفَ الْخُبْـزِ بَعِيدًا وَجَعَلَهُ يَقَعُ عَلَى الْأَرْضِ، وَمَرَّةً حِينَ لَمْ يَكُنْ مُهَذَّبًا فِي الرَّدِّ عَلَى جَدَّتِهِ، لَكِنَّ جَدَّتَهُ قَدْ أَدْرَكَتْ أَنَّهُ أَخْطَأَ وَقَرَّرَتْ أَنْ تُعَاقِبَهُ، فَقَالَتْ لَهُ:

- نَعَمْ.. خَرِبَتِ الدُّنْيَا. فَهَذَا الرَّغِيفُ الَّذِي رَمَيْتَهُ قَدْ كَلَّفَنِي جُهْدًا كَبِيرًا حَتَّى صَنَعْتُهُ لَكَ، وَأَنَا الْآنَ قَدْ تَعِبْتُ وَغَاضِبَةٌ عَلَيْكَ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ، وَلَنْ أَصْنَعَ غَيْرَهُ.

عَانَدَ «حَدِيدَانُ» وَقَالَ:

- بِالرَّغْـمِ مِنْ أَنَّنِـي أَصْغَرُ مِنْكِ بِكَثِيـرٍ، وَلَكِنِّي قَادِرٌ عَلَى صُنْعِ رَغِيـفٍ أَفْضَلَ مِنْ رَغِيفِكِ أَلْفَ مَرَّةٍ!

جَلَسَتِ الْجَدَّةُ تَأْكُلُ الرَّغِيفَ الْمَمْطُوطَ بِاللَّبَنِ وَالْجُبْنِ، وَقَالَتْ لِحَفِيدِهَا:

- هَيَّا أَرِنِي مَهَارَتَكَ.

ظَنَّ «حَدِيدَانُ» أَنَّ الْأَمْرَ سَهْلٌ وَهَيِّنٌ، فَذَهَبَ إِلَى الْفُرْنِ وَقَالَ لَهُ:

- يَا فُرْنُ يَا خَبَّازَ الْعَجِينِ.. أَعْطِنِي رَغِيفًا مُدَوَّرًا.

فَتَحَ الْفُرْنُ فَمَهُ الْأَسْوَدَ الْوَاسِعَ، وَقَالَ لَهُ بِصَوْتٍ أَجْوَفَ بَارِدٍ:

- كَيْفَ أُعْطِيكَ رَغِيفًا وَأَنَا بِحَاجَةٍ إِلَى الْحَطَبِ؟!

سَأَلَ «حَدِيدَانُ» وَقَالَ:

- وَمِنْ أَيْنَ آتِيكَ بِالْحَطَبِ؟

رَدَّ الْفُرْنُ وَقَالَ:

- هُنَاكَ فِي الْجَبَلِ.

أَسْرَعَ «حَدِيدَانُ» إِلَى الْجَبَلِ، وَلَمَّا وَقَفَ بِجَانِبِهِ، شَعَرَ بِنَفْسِهِ صَغِيرًا جِدًّا بِجَانِبِهِ، لَكِنَّهُ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى أَعْلَى وَصَاحَ عَالِيًا وَقَالَ لِلْجَبَلِ:

- يَا جَبَلُ يَا كَبِيرُ.. أَعْطِنِي حُزْمَةً مِنَ الْحَطَبِ.

ضَحِكَ الْجَبَلُ عَالِيًا، وَتَرَدَّدَ صَدَى صَوْتِهِ فِي الْفَضَاءِ، وَقَالَ:

- إِذَا أَرَدْتَ شَيْئًا فَعَلَيْكَ أَنْ تَأْخُذَهُ. اصْعَدْ وَقَطِّعْهُ بِفَأْسِكَ بِنَفْسِكَ.

تَذَكَّرَ الصَّبِيُّ أَنَّهُ لَيْسَ مَعَهُ فَأْسًا، فَسَأَلَ الْجَبَلَ مِنْ أَيْنَ يَأْتِي بِالْفَأْسِ، فَأَخْبَرَهُ بِأَنَّهُ عِنْدَ الْحَدَّادِ.

أَسْرَعَ «حَدِيدَانُ» عَائِدًا إِلَى الْقَرْيَةِ، وَبَحَثَ عَنْ دُكَّانِ الْحَدَّادِ حَتَّى وَجَدَهُ، وَقَفَ عَلَى بَابِهِ وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُعْطِيَهُ فَأْسًا، رَفَضَ الْحَدَّادُ أَنْ يُعْطِيَهُ الْفَأْسَ دُونَ أَنْ يَدْفَعَ ثَمَنَهُ.

لَمْ يَكُنْ مَعَ «حَدِيدَانَ» نُقُودٌ، فَبَكَى أَمَامَ الْحَدَّادِ وَقَالَ لَهُ:

- جَدَّتِي غَضِبَتْ مِنِّي، وَأُرِيدُ أَنْ أُرْضِيَهَا وَأَصْنَعَ لَهَا رَغِيفًا مُدَوَّرًا، وَلَنْ أَفْعَلَ إِلَّا إِذَا أَحْضَرْتُ الْحَطَبَ لِلْفُرْنِ، وَلَنْ أُحْضِرَ الْحَطَبَ إِلَّا إِذَا كَانَ مَعِي فَأْسٌ، وَالْفَأْسُ عِنْدَكَ وَلَيْسَ مَعِي ثَمَنُهُ.

رَبَّتَ الْحَدَّادُ عَلَى كَتِفِ «حَدِيدَانَ»، وَقَالَ لَهُ:

- مِنْ أَجْلِ خَاطِرِ جَدَّتِكَ، سَأُعْطِيكَ الْفَأْسَ، بِشَرْطِ أَنْ تَعْمَلَ مَعِي مُقَابِلَ ثَمَنِهِ.

دَخَلَ «حَدِيدَانُ» دُكَّانَ الْحَدَّادِ، عَلَّمَهُ الرَّجُلُ كَيْفَ يَنْفُخُ الْكِيرَ، سَاعَدَهُ حَتَّى صَنَعَ لَهُ فَأْسًا، أَخَذَهُ وَذَهَبَ إِلَى الْجَبَلِ، جَمَعَ حُزْمَةً مِنَ الْحَطَبِ، أَعْطَاهَا لِلْفُرْنِ وَأَشْعَلَ فِيهَا النَّارَ وَجَلَسَ يَعْجِنُ الدَّقِيقَ.

حِينَ أَكَلَتِ النَّارُ الْحَطَبَ، كَانَ «حَدِيدَانُ» قَدِ انْتَهَى مِنَ الْعَجِينِ، وَرَاحَ يُعِدُّ الْأَرْغِفَةَ وَيَقْذِفُ بِهَا إِلَى الْفُرْنِ، عِدَّةَ مَرَّاتٍ يَفْشَلُ فِي أَنْ يَصْنَعَ رَغِيفًا مُدَوَّرًا، فِي كُلِّ مَرَّةٍ يَخْرُجُ الرَّغِيفُ مَمْطُوطًا أَوْ مَثْقُوبًا.. وَعِدَّةَ مَرَّاتٍ يَحْتَرِقُ مِنْهُ.

وَحِينَ أَدْرَكَ أَنَّهُ فَشِلَ جَلَسَ يَبْكِي وَيَقُولُ:

- كَيْفَ سَأُرْضِي جَدَّتِي؟ كَيْفَ سَأُرْضِي جَدَّتِي؟

شَعَرَ «حَدِيدَانُ» بِيَدِ جَدَّتِهِ تُرَبِّتُ عَلَى شَعْرِهِ وَسَمِعَهَا تَقُولُ لَهُ:

- الْآنَ رَضِيتُ عَنْكَ، سَاعِدْنِي لِأَخْبِزَ لَكَ رَغِيفًا مُدَوَّرًا مِثْلَ الْقَمَرِ.

الْأَخَـــوَانِ

زَمَـانٌ، فِي ذَلِـكَ الزَّمَنِ الَّذِي فَـاتَ، كَانَ هُنَاكَ أَخَوَانِ شَـقِيقَانِ، أَحَدُهُمَا اسْـمُهُ «فَالِحٌ»، وَالثَّانِي اسْـمُهُ «مُرَاوِحٌ». وَكَانَا يَتِيمَيْـنِ، وَكَانَ «فَالِحٌ» أَكْبَرَ مِنْ «مُرَاوِحٍ»، وَأَكْثَرَ عَقْلًا مِنْهُ، وَلَكِنَّ «فَالِحًا» لَا يُمْكِنُ أَنْ يَتْرُكَ أَخَاهُ وَلَا يَرْعَاهُ.

رَاحَ الْأَخَوَانِ يَبْحَثَانِ عَنْ عَمَلٍ يَرْزُقُهُمَا اللهُ مِنْ وَرَائِهِ طَعَامَهُمَا وَشَـرَابَهُمَا، وَظَلَّا يَبْحَثَانِ حَتَّى وَجَدَا عَجُوزًا تَبْحَثُ عَنْ أَحَدٍ يَرْعَى لَهَا أَغْنَامَهَا، وَيَحْلِبُ لَهَا شِيَاهَهَا، مُقَابِلَ أَنْ يَبِيتَ عِنْدَهَا وَيَأْكُلَ مِنْ طَعَامِهَا، فَعَرَضَا عَلَيْهَا الْعَمَلَ عِنْدَهَا فَوَافَقَتْ.

صَـارَ «فَالِحٌ» يَأْخُـذُ أَغْنَامَ الْعَجُـوزِ كُلَّ يَوْمٍ قَبْـلَ طُلُوعِ الشَّـمْسِ، وَيَذْهَبُ بِهَا هُوَ وَأَخُوهُ إِلَى الْمَرَاعِي، وَلَا يَعُودَانِ بِالْأَغْنَامِ إِلَّا فِي الْمَسَـاءِ، وَقَدْ أَكَلَتْ وَشَـبِعَتْ وَامْتَلَأَتْ ضُرُوعُهَا بِاللَّبَنِ.

وَحِينَ يُدْخِلَانِهَا حَظِيرَتَهَا، يَحْلِبُ «فَالِحٌ» اللَّبَنَ مِنْ ضُرُوعِ الشِّيَاهِ، وَيُقَدِّمُهُ لِلْعَجُوزِ، فَتُقَدِّمُ لَهُمَا مَا يَكْفِيهِمَا مِنْ طَعَامِ الْعَشَاءِ، فَيَأْكُلَانِ حَتَّى يَشْبَعَا، وَيَحْمَدَا اللهَ عَلَى مَا رَزَقَهُمَا، وَيَنَامَا حَتَّى الصَّبَاحِ.

أَحَبَّتِ الْأَغْنَامُ «فَالِحًا» لِأَنَّهُ يُطْعِمُهَا وَيَرْعَاهَا، وَلَمْ تُحِبَّ «مُرَاوِحًا» لِأَنَّهُ كَانَ يَصْنَعُ لِنَفْسِهِ قُرُونًا مِنَ الْحَطَبِ وَيُشَاكِسُهَا مِثْلَ الْكِبَاشِ. وَذَاتَ يَوْمٍ مَرِضَ «فَالِحٌ» وَلَمْ يَسْتَطِعِ الذَّهَابَ إِلَى الْعَمَلِ، فَاضْطُرَّ «مُرَاوِحٌ» أَنْ يَخْرُجَ بِهَا وَحْدَهُ.

فِي الطَّرِيقِ إِلَى الْمَرَاعِي.. كَانَ «مُرَاوِحٌ» خَائِفًا مِنَ الْكِبَاشِ أَنْ تُنَاطِحَهُ كَمَا كَانَ يُنَاطِحُهَا، وَكَانَتِ الْأَغْنَامُ سَوَاءٌ أَكَانَتْ كِبَاشًا أَوْ شِيَاهًا خَائِفَةً مِنْهُ، وَمِنْ قُرُونِهِ الْخَشَبِيَّةِ الَّتِي يَرْبُطُهَا حَوْلَ رَأْسِهِ. لَكِنَّ الْجَمِيعَ كَانَ سَائِرًا فِي صَمْتٍ نَحْوَ الطَّعَامِ.

ذَهَبَ «مُرَاوِحٌ» بِالْأَغْنَامِ إِلَى مَرْعًى فِيهِ شَجَرَةُ سِدْرٍ مُحَمَّلَةٌ بِالثِّمَارِ الَّتِي يُحِبُّهَا، تَرَكَ الْأَغْنَامَ تَمْرَحُ بَيْنَ الْأَعْشَابِ الْخَضْرَاءِ الطَّرِيَّةِ، وَصَعِدَ هُوَ فَوْقَ شَجَرَةِ السِّدْرِ وَرَاحَ يَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا الشَّهِيَّةِ. وَفِي نَفْسِ الْوَقْتِ يُرَاقِبُ تَصَرُّفَاتِ الْأَغْنَامِ عَلَى الْأَرْضِ.

أَكَلَتِ الْأَغْنَامُ حَتَّى شَبِعَتْ، مِنْهَا مَا تَمَدَّدَ فِي ظِلِّ شَجَرَةِ السِّدْرِ لِيَسْتَرِيحَ، وَمِنْهَا مَا رَاحَ يَتَقَافَزُ هُنَا وَهُنَاكَ.. وَأَخِيرًا جَاءُوا كُلُّهُمْ إِلَى ظِلِّ الشَّجَرَةِ وَتَمَدَّدُوا عَلَى الْأَرْضِ.

ظَنَّ «مُرَاوِحٌ» أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ ثَمَرَاتِ النَّبْقِ الَّتِي يَأْكُلُهَا، نَظَرَ إِلَيْهِمْ وَقَالَ لَهُمْ:

- تُرِيدُونَ أَنْ تَأْكُلُوا شَيْئًا حُلْوًا بَعْدَ أَكْلِ الْأَعْشَابِ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟

سَمِعَ الْكَبْشُ صَوْتَ «مُرَاوِحٍ» فَظَنَّهُ يُشَاكِسُهُ كَعَادَتِهِ، رَفَعَ رَأْسَهُ وَمَأْمَأَ مُكَشِّرًا عَنْ قَوَاطِعِهِ الْحَادَّةِ، فَظَنَّ «مُرَاوِحٌ» أَنَّهُ يَبْتَسِمُ، وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُمْ مُوَافِقُونَ عَلَى أَكْلِ النَّبْقِ، فَقَالَ:

- سَوْفَ أَهُزُّ لَكُمْ فُرُوعَ السِّدْرَةِ لِيَتَسَاقَطَ النَّبْقُ، بِشَرْطِ أَنْ تَتْرُكُوا لِي شَيْئًا آكُلُهُ.

لَمْ يَنْتَظِرْ «مُرَاوِحٌ» أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ الْأَغْنَامِ، وَرَاحَ يَهُزُّ فُرُوعَ شَجَرَةِ السِّدْرِ بِقُوَّةٍ، وَيَتَسَاقَطُ النَّبْقُ فَوْقَ الْأَغْنَامِ كَالْمَطَرِ.

كَانَتِ الْأَغْنَامُ هِيَ الْأُخْرَى تُحِبُّ النَّبْقَ، وَحِينَ انْتَبَهَتْ لِلَّذِي يَتَسَاقَطُ عَلَيْهَا مِنْ فَوْقِهَا، هَبَّتْ وَاقِفَةً وَرَاحَتْ تَلْتَهِمُ الْحَبَّاتِ مِنَ الْأَرْضِ.

وَظَلَّ «مُرَاوِحٌ» يَهُزُّ لَهُمُ الْفُرُوعَ، وَتَتَسَاقَطُ الْحَبَّاتُ، وَهُمْ يَأْكُلُونَ كُلَّ مَا يَنْزِلُ إِلَيْهِمْ حَتَّى تَعِبَتْ ذِرَاعَاهُ، وَكَفَّ عَنْ هَزِّ الْفُرُوعِ.. ثُمَّ أَسْرَعَ هَابِطًا إِلَى الْأَرْضِ، وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّ الْأَغْنَامَ قَدْ تَرَكَتْ لَهُ نَصِيبًا مِنَ النَّبْقِ.

سَارَ «مُرَاوِحٌ» بَيْنَ الْخِرَافِ يَبْحَثُ عَنْ حَبَّاتِ النَّبْقِ، لَمْ تَخَفْ مِنْهُ وَاحِدَةٌ، وَلَمْ يَنْطَحْهُ كَبْشُهُمْ، أَزَاحَ هَذِهِ قَلِيلًا، وَسَحَبَ تِلْكَ مِنْ أُذُنِهَا حَتَّى تَقُومَ مِنْ مَكَانِهَا.. كُلُّ ذَلِكَ وَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا، وَبِالرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ لَمْ يَتَضَايَقْ فَقَدْ شَعَرَ بِحُبِّهِمْ لَهُ، رَاحَ الْخَوْفُ مِنْ قَلْبِهِ هُوَ الْآخَرُ، رَاحَ يُرَبِّتُ عَلَى رُءُوسِهِمْ جَمِيعًا فِي حَنَانٍ.

انْتَقَلَ الْإِحْسَاسُ بِالْحُبِّ مِنْ يَدِ «مُرَاوِحٍ» إِلَى رُءُوسِ الْأَغْنَامِ وَوَصَلَ إِلَى قُلُوبِهِمْ. وَارْتَفَعَ ثُغَاؤُهُمْ(*) كَالْغِنَاءِ، فَفَرَدَ «مُرَاوِحٌ» ذِرَاعَيْهِ فِي الْهَوَاءِ وَرَاحَ يَمِيلُ بِهِمَا يَمِينًا وَيَسَارًا، وَهُوَ يَتَنَقَّلُ بَيْنَهُمْ يَلْمِسُ رُءُوسَهُمْ وَأَجْسَادَهُمْ، بَيْنَمَا هُمْ يَتَرَاقَصُونَ حَوْلَهُ.

رَأَى «مُرَاوِحٌ» حَبَّةً كَبِيرَةً مِنْ حَبَّاتِ النَّبْقِ وَقَدِ انْغَرَسَتْ فِي قَرْنِ الْكَبْشِ، فَأَسْرَعَ نَاحِيَتَهُ، وَأَخَذَ الْحَبَّةَ مِنْ قَرْنِ الْكَبْشِ، وَقَذَفَ بِهَا إِلَى فَمِهِ، وَأَخَذَ يَمْضُغُهَا وَهُوَ يَحْتَضِنُ رَأْسَهُ فِي صَدْرِهِ وَيَقُولُ لَهُ:

ـ أَنْتَ الْوَحِيدُ الَّذِي احْتَفَظَ لِي بِوَاحِدَةٍ.. شُكْرًا لَكَ.

(*) الثُّغَاءُ: هُوَ صَوْتُ الْمَاعِزِ وَالْأَغْنَامِ.

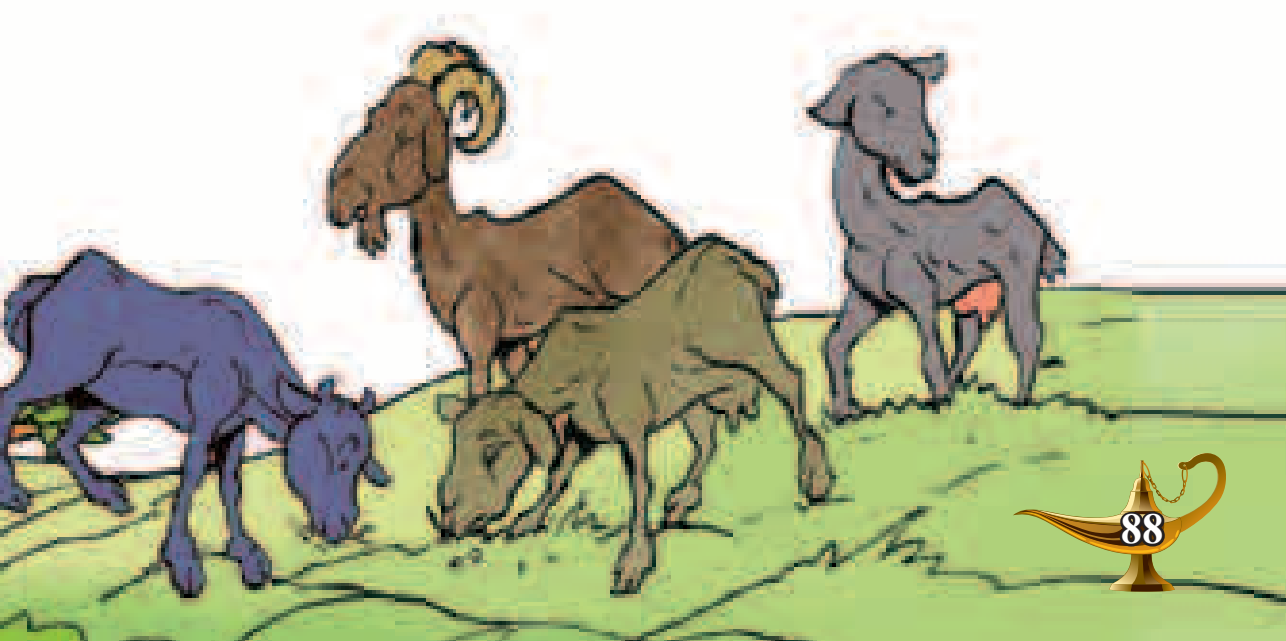

قَضَى «مُـرَاوِحٌ» بَقِيَّةَ الْيَوْمِ بَيْنَ الْأَغْنَامِ، يَسُوقُهَا إِلَى حَيْثُ الْأَعْشَابُ الطَّرِيَّةُ حَتَّى شَبِعُوا، وَحِينَ قَارَبَتِ الشَّمْسُ عَلَى الْغُرُوبِ.. بَدَأَتْ ضُرُوعُ الشِّيَاهِ تَمْتَلِئُ بِاللَّبَنِ، فَقَرَّرَ أَنْ يَعُودَ بِهَا إِلَى السَّيِّدَةِ الْعَجُوزِ، وَسَارَ أَمَامَهَا يَقُودُهَا فِي الطَّرِيقِ، وَكَانَتْ مُفَاجَأَةً لِأَخِيهِ «فَالِحٍ» الَّذِي كَانَ قَلِقًا عَلَيْهِ بِالرَّغْمِ مِنْ مَرَضِهِ، وَعَرَفَ أَنَّ أَخَاهُ قَدْ قَامَ بِالْعَمَلِ نِيَابَةً عَنْهُ عَلَى أَحْسَنِ حَالٍ. فَلَمْ يَعُدْ يَقْلَقُ عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ.

اللُّصُوصُ الثَّلَاثَةُ

زَمَـانٌ.. وَفِي يَوْمٍ مِـنْ أَيَّامِ الزَّمَنِ الَّذِي فَاتَ، كَانَتْ هُنَـاكَ مَدِينَةٌ كَبِيرَةٌ تُحِيطُ بِهَا الْبَسَـاتِينُ وَالْحُقُولُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَـةٍ، وَكَانَ مَلِكُ الْمَدِينَةِ رَجُـلًا عَادِلًا يُحِبُّ النَّاسَ فَأَحَبُّوهُ، وَصَنَعَ الْعَدْلُ وَالْحُبُّ حَيَاةً سَعِيدَةً لِلنَّاسِ فِي الْمَدِينَةِ، فَلَمْ يَأْخُذْ أَحَدٌ شَيْئًا لَيْسَ لَهُ، وَلَمْ يَظْلِمْ قَوِيٌّ ضَعِيفًا، وَلَمْ يَبْخَلْ غَنِيٌّ عَلَى فَقِيرٍ، وَعَاشَتِ الْمَدِينَةُ فِي خَيْرٍ وَسَلَامٍ وَهَنَاءٍ، وَنَدَرَ عَمَلُ رِجَالِ الشُّرْطَةِ وَالْقَضَاءِ.

وَكَانَ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ صَبِيٌّ يَعْمَلُ مُزَارِعًا فِي وَاحِدٍ مِنْ بَسَاتِينِهَا طَوَالَ الْأُسْبُوعِ، وَيَوْمَ الْجُمُعَةِ يَلْبَسُ مَلَابِسَهُ النَّظِيفَةَ، وَيَذْهَبُ

لِيَحْضُرَ صَلَاةَ الْجُمُعَةِ بِالْمَسْجِدِ الْكَبِيرِ، وَيُشَاهِدَ مَوْكِبَ السُّلْطَانِ بَعْدَ الصَّلَاةِ.

وَذَاتَ يَـوْمٍ، كَانَ الصَّبِـيُّ فِي طَرِيقِهِ إِلَى صَلَاةِ الْجُمُعَةِ بِالْمَسْـجِدِ الْكَبِيرِ كَعَادَتِهِ، فَمَرَّ عَلَى وَاحِدٍ مِنَ الْحُقُولِ مُقَسَّـمٍ إِلَى أَحْوَاضٍ، وَرَأَى رَجُلًا يَغْرِفُ مِنَ الْمَاءِ بِدَلْوٍ كَبِيرٍ وَيَنْقُلُهُ إِلَى أَحَدِ الْأَحْوَاضِ، وَيُحْصِي عَدَدَ مَا يَنْقُلُهُ مِنَ الدِّلَاءِ.

تَعَجَّبَ الصَّبِيُّ مِمَّا يَفْعَلُ الرَّجُلُ، وَسَأَلَهُ:

- يَا عَمُّ.. لِمَاذَا تَسْقِي الزَّرْعَ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ؟

رَدَّ الرَّجُلُ وَهُوَ يُمَثِّلُ الطِّيبَةَ وَالْوَقَارَ، وَقَالَ:

- حَتَّى أَسْقِيَ الْأَحْوَاضَ بِالتَّسَاوِي يَا وَلَدِي، لَا أُرِيدُ أَنْ أَظْلِمَ حَوْضًا عَلَى حِسَابِ حَوْضٍ، فَيُحَاسِبَنِي اللهُ عَلَى الظُّلْمِ يَا وَلَدِي!

حَاوَلَ الصَّبِيُّ أَنْ يَفْهَمَ مَا قَالَ الرَّجُلُ، لَكِنَّهُ لَمْ يَفْهَمْ، فَوَاصَلَ طَرِيقَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَفِي الشَّارِعِ الْمُؤَدِّي إِلَى الْجَامِعِ الْكَبِيرِ، تَقَابَلَ مَعَ رَجُلٍ يُمْسِكُ بِعَصًا عَلَّقَ فِي طَرَفِهَا

عِدَّةَ أَجْرَاسٍ، وَرَاحَ يَهُزُّهَا أَثْنَاءَ سَيْرِهِ فَتَهْتَزُّ الْأَجْرَاسُ وَتُطْلِقُ رَنِينَهَا.

تَعَجَّبَ الصَّبِيُّ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ:

- حَالُ هَذَا الرَّجُلِ أَعْجَبُ مِنْ سَابِقِهِ.

اقْتَرَبَ مِنْهُ وَسَأَلَهُ قَائِلًا:

- لِمَاذَا تَدُقُّ هَذِهِ الْأَجْرَاسَ يَا عَمُّ؟

أَجَابَ الرَّجُلُ وَهُوَ يُمَثِّلُ الْخُشُوعَ وَالطِّيبَةَ وَالْخَوْفَ مِنَ اللهِ، وَقَالَ:

- يَا وَلَدِي، فِي الْأَرْضِ كَثِيرٌ مِنَ الْحَشَرَاتِ، وَأَخْشَى أَنْ أَدُوسَ عَلَيْهَا بِنَعْلِي فَأَقْتُلَهَا، فَيُحَاسِبَنِي اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى قَتْلِ نَفْسٍ بَرِيئَةٍ بِغَيْرِ حَقٍّ!

حَاوَلَ الصَّبِيُّ أَنْ يَجْعَلَ عَقْلَهُ وَقَلْبَهُ يُصَدِّقَانِ مَا قَالَهُ الرَّجُلُ، فَلَمْ يُصَدِّقَاهُ، كَفَّ عَنِ التَّفْكِيرِ وَوَاصَلَ طَرِيقَهُ إِلَى الْجَامِعِ.

وَبِالْقُرْبِ مِنَ الْجَامِعِ، وَقَعَتْ عَيْنَا الصَّبِيِّ عَلَى رَجُلٍ قَادِمٍ إِلَيْهِ، وَكَانَ يَحْمِلُ إِبْرِيقَ مَاءٍ فِي يَدِهِ، تَسَاءَلَتْ نَفْسُهُ وَقَالَتْ:

- لِمَاذَا يَحْمِلُ هَذَا الرَّجُلُ إِبْرِيقَ الْمَاءِ فِي يَدِهِ وَهُوَ قَادِمٌ لِلصَّلَاةِ؟

اقْتَرَبَ مِنَ الرَّجُلِ وَسَأَلَهُ نَفْسَ السُّؤَالِ، فَقَالَ لَهُ:

- يَا وَلَدِي.. تُرَابُ الطَّرِيقِ مَلِيءٌ بِالْأَوْسَاخِ الَّتِي تَنْقُضُ الْوُضُوءَ، وَحِينَ نَسِيرُ عَلَيْهِ فَإِنَّ نِعَالَنَا تُثِيرُ الْغُبَارَ، وَالْغُبَارُ هُوَ الْآخَرُ يَنْقُضُ الْوُضُوءَ لِأَنَّهُ خَارِجٌ مِنْ هَذَا التُّرَابِ؛ لِذَلِكَ هَذَا الْإِبْرِيقُ مَعِي. أَغْسِلُ قَدَمَيَّ وَسَاقَيَّ قَبْلَ دُخُولِي الْمَسْجِدَ؛ لِأَدْخُلَهُ طَاهِرًا نَقِيًّا مِنَ الْأَوْسَاخِ، حَتَّى يَتَقَبَّلَ اللهُ صَلَاتِي!

بَحَثَ الصَّبِيُّ عَنْ سَبَبٍ يَجْعَلُهُ يُصَدِّقُ مَا قَالَ الرَّجُلُ، فَلَمْ يَجِدْ، دَخَلَ الْمَسْجِدَ، وَمَسَحَ مِنْ ذِهْنِهِ كَلَامَ الرِّجَالِ الثَّلَاثَةِ حَتَّى يَصْفُوَ لِلصَّلَاةِ وَلَا يَشْرُدَ فِيهَا.

أَدَّى الصَّبِيُّ صَلَاةَ الْجُمُعَةِ، وَشَاهَدَ مَوْكِبَ الْمَلِكِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، وَعَادَ إِلَى عَمَلِهِ فِي الْبُسْتَانِ، وَقَدْ نَسِيَ أَمْرَ الرِّجَالِ الثَّلَاثَةِ.

وَلَمْ تَمُرَّ إِلَّا أَيَّامٌ قَلِيلَةٌ، وَإِذَا بِمُنَادِي الْمَلِكِ يُعْلِنُ أَنَّ اللُّصُوصَ سَرَقُوا خَزِينَةَ الْمَلِكِ! دُهِشَ النَّاسُ وَانْزَعَجُوا وَتَسَاءَلُوا: كَيْفَ يَحْدُثُ هَذَا؟ وَمِنْ أَيْنَ جَاءَ اللُّصُوصُ؟ وَتَأَكَّدُوا جَمِيعًا أَنَّ اللُّصُوصَ غُرَبَاءُ عَنِ الْمَدِينَةِ، وَرَاحُوا جَمِيعًا يَبْحَثُونَ عَنْهُمْ، فَهُمْ بِالتَّأْكِيدِ لَيْسُوا مِنْهُمْ.

تَذَكَّرَ الصَّبِيُّ الرِّجَالَ الثَّلَاثَةَ الَّذِينَ قَابَلَهُمْ، وَكَانُوا يُبَالِغُونَ فِي التَّظَاهُرِ بِالتَّقْوَى وَالْإِيمَانِ، وَشَعَرَ أَنَّهُمْ رُبَّمَا يَكُونُونَ هُمُ اللُّصُوصَ الَّذِينَ سَرَقُوا خَزِينَةَ الْمَلِكِ. فَأَسْرَعَ إِلَى الْقَصْرِ، وَطَلَبَ مُقَابَلَةَ الْمَلِكِ لِيُخْبِرَهُ بِشَيْءٍ فِي نَفْسِهِ يَخُصُّ اللُّصُوصَ.. سَمَحُوا لَهُ فِي الْحَالِ، وَدَخَلَ الصَّبِيُّ إِلَى قَاعَةِ عَرْشِ الْمَلِكِ، وَحَكَى لَهُ مَا رَآهُ مِنَ الرِّجَالِ الثَّلَاثَةِ، وَوَصَفَ لَهُ هَيْئَتَهُمْ، وَفِي النِّهَايَةِ قَالَ:

- وَأَظُنُّ يَا مَوْلَايَ أَنَّ مُبَالَغَتَهُمْ فِي الْوَرَعِ وَالتَّقْوَى كَانَتْ غِطَاءً لِنِيَّتِهِمُ السَّيِّئَةِ وَهِيَ السَّرِقَةُ، فَكُلُّ أَبْنَاءِ مَدِينَتِنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ الْوَرِعِينَ، وَلَا يُوجَدُ فِيهِمْ مَنْ يُبَالِغُ مِثْلَ هَؤُلَاءِ الْغُرَبَاءِ.

سَمِعَ الْمَلِكُ كَلَامَ الصَّبِيِّ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَلَّا يُخْبِرَ أَحَدًا بِمَا قَالَهُ لَهُ، وَأَنْ يَعُودَ إِلَى بُسْتَانِهِ كَأَنَّهُ لَمْ يَقُلْ شَيْئًا، وَطَلَبَ مِنَ الشُّرْطَةِ الْبَحْثَ عَنِ اللُّصُوصِ الَّذِينَ وَصَفَهُمْ.

وَلَمْ تَمُرَّ إِلَّا أَيَّامٌ قَلِيلَةٌ، حَتَّى أَمْسَكَتِ الشُّرْطَةُ بِاللُّصُوصِ الثَّلَاثَةِ، وَاعْتَرَفُوا بِجَرِيمَتِهِمْ وَأَحْضَرُوا الْمَسْرُوقَاتِ الَّتِي أَخَذُوهَا.

وَأَرْسَلَ الْمَلِكُ إِلَى الصَّبِيِّ فِي الْبُسْتَانِ، وَأَعْطَاهُ مُكَافَأَةً كَبِيرَةً عَلَى دِقَّةِ مُلَاحَظَتِهِ الَّتِي سَاعَدَتْ فِي الْقَبْضِ عَلَى اللُّصُوصِ وَإِعَادَةِ الْمَسْرُوقَاتِ، وَعَيَّنَهُ فِي وَظِيفَةٍ فِي الْقَصْرِ، وَعَاشَ الصَّبِيُّ حَيَاةً جَمِيلَةً نَتِيجَةً لِحُسْنِ تَفْكِيرِهِ وَدِقَّةِ مُلَاحَظَتِهِ.

الْغُرَابُ وَالثَّعْلَبُ

زَمَانٌ، وَفِي يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الزَّمَنِ الَّذِي فَاتَ، كَانَ غُرَابٌ يَقِفُ عَلَى سَعْفَةِ نَخْلَةٍ عَالِيَةٍ، يَبْحَثُ بِعَيْنَيْهِ فِي الصَّحْرَاءِ الْوَاسِعَةِ الَّتِي حَوْلَهُ عَنْ شَيْءٍ يَأْكُلُهُ، حَتَّى لَوْ كَانَ فَأْرًا صَغِيرًا خَرَجَ مِنْ جُحْرِهِ، أَوْ عُصْفُورًا ضَلَّ طَرِيقَهُ فِي الْفَضَاءِ، أَوْ حَتَّى جَرَادَةً عَجْفَاءَ تَبْحَثُ هِيَ الْأُخْرَى عَنْ شُجَيْرَةٍ هُنَا أَوْ هُنَاكَ تَلْتَهِمُ أَوْرَاقَهَا.. فَيَلْتَهِمُهَا هُوَ!

عَلَى الْبُعْدِ رَأَى الْغُرَابُ ثَعْلَبًا يَجْلِسُ فَوْقَ صَخْرَةٍ صَغِيرَةٍ فِي ظِلِّ صَخْرَةٍ أَكْبَرَ مِنْهَا، عَرَفَ أَنَّهُ يَتَرَبَّصُ بِصَيْدٍ لَهُ، ثَبَّتَ عَيْنَيْهِ عَلَيْهِ لِيَرَى كَيْفَ يَصْطَادُ، وَمَا هُوَ طَعَامُهُ.

بَعْدَ قَلِيلٍ، خَرَجَ أَرْنَبٌ صَغِيرٌ مِنْ بَيْنِ الصُّخُورِ، رَأَى الثَّعْلَبُ الْأَرْنَبَ، هَجَمَ عَلَيْهِ، رَاوَغَ الْأَرْنَبُ يَمِينًا وَزَاغَ مُبْتَعِدًا عَنِ الثَّعْلَبِ، قَفَزَ الثَّعْلَبُ وَقَطَعَ عَلَيْهِ الطَّرِيقَ. وَاسْتَمْتَعَ الْغُرَابُ بِمُشَاهَدَةِ الثَّعْلَبِ وَالْأَرْنَبِ وَكُلٌّ مِنْهُمَا يُرَاوِغُ الْآخَرَ، مَرَّةً يَمِينًا.. وَمَرَّةً يَسَارًا، وَمَرَّةً إِلَى الْأَمَامِ.. وَمَرَّةً إِلَى الْخَلْفِ. وَفِي النِّهَايَةِ اسْتَطَاعَ الثَّعْلَبُ بِمَكْرِهِ وَدَهَائِهِ التَّغَلُّبَ عَلَى الْأَرْنَبِ وَالْإِمْسَاكَ بِهِ، وَرَاحَ يَأْكُلُهُ.

أُعْجِبَ الْغُرَابُ بِمَهَارَةِ الثَّعْلَبِ فِي الْمُرَاوَغَةِ، تَمَنَّى لَوْ صَارَ مِثْلَهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُرَاوِغَ فَرَائِسَهُ عَلَى الْأَرْضِ. قَالَتْ لَهُ نَفْسُهُ:

- لِمَاذَا لَا تُصَادِقُهُ وَتَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يُعَلِّمَكَ مَا يَعْرِفُهُ؟

أَطَاعَ الْغُرَابُ نَفْسَهُ، رَفْرَفَ صَاعِدًا فِي الْهَوَاءِ.. انْتَظَرَ حَتَّى أَكَلَ الثَّعْلَبُ وَشَبِعَ، وَحَطَّ عَلَى الْأَرْضِ بِالْقُرْبِ مِنْهُ، وَقَالَ لَهُ:

- سَلَامٌ عَلَيْكَ يَا أَبَا الْحُصَيْنِ.

رَدَّ الثَّعْلَبُ وَقَالَ:

- وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ أَيُّهَا الْغُرَابُ. مَاذَا تُرِيدُ؟

أَجَابَ الْغُرَابُ قَائِلًا:

- عَرَفْتُ فِيكَ صِفَاتٍ حُلْوَةً أَحْبَبْتُهَا، أَرَدْتُ أَنْ أَتَعَلَّمَهَا مِنْكَ.

أَجَابَ الثَّعْلَبُ فِي زَهْوٍ وَقَالَ:

- أَنَا تَحْتَ أَمْرِكَ، بِشَرْطِ أَنْ تُعَلِّمَنِي الطَّيَرَانَ.

أَجَابَ الْغُرَابُ فِي ثِقَةٍ وَقَالَ:

- أُعَلِّمُكَ كُلَّ مَا أَعْرِفُ.

اتَّفَقَ الثَّعْلَبُ وَالْغُرَابُ عَلَى أَنْ يُعَلِّمَ كُلٌّ مِنْهُمَا الْآخَرَ أُسْلُوبَهُ فِي الْحَيَاةِ، وَقَرَّرَ الْغُرَابُ أَنْ يَحْتَفِلَ بِهَذَا الِاتِّفَاقِ وَيَدْعُوَ الثَّعْلَبَ لِوَلِيمَةِ غَدَاءٍ ظُهْرَ الْغَدِ. قَبِلَ الثَّعْلَبُ الدَّعْوَةَ وَقَالَ لِلْغُرَابِ:

- بِكُلِّ سُرُورٍ أَنَا أَقْبَلُ دَعْوَتَكَ، وَأَدْعُوكَ لِلْغَدَاءِ مَعِي بَعْدَ غَدٍ.

قَبِلَ الْغُرَابُ هُوَ الْآخَرُ دَعْوَةَ الثَّعْلَبِ، وَوَدَّعَا بَعْضُهُمَا عَلَى أَمَلِ اللِّقَاءِ فِي الْغَدِ، وَرَاحَ كُلٌّ فِي طَرِيقِهِ.

فِي الْيَوْمِ التَّالِي اسْتَيْقَظَ الْغُرَابُ مِنْ نَوْمِهِ مُبَكِّرًا، وَطَارَ يَدُورُ فِي الْفَضَاءِ بَاحِثًا عَنْ أَجْوَدِ أَشْجَارِ النَّخِيلِ.. يَلْتَقِطُ مِنْهَا أَحْلَى أَصْنَافِ الْبَلَحِ.. وَاحِدَةً بَعْدَ وَاحِدَةٍ، وَكَمَا تَعَوَّدَ.. يَعُودُ بِهَا إِلَى شَجَرَةِ السَّلَمِ (*) وَيَغْرِسُهَا فِي أَحَدِ أَشْوَاكِهَا.

بَذَلَ الْغُرَابُ جُهْدًا كَبِيرًا فِي جَمْعِ الْبَلَحِ حَتَّى لَمْ يَعُدْ فِي شَجَرَةِ السَّلَمِ شَوْكَةٌ وَاحِدَةٌ لَمْ يَغْرِسْ فِيهَا بَلَحَةً جَيِّدَةً، وَرَاحَ يَدْعُو الثَّعْلَبَ لِتَنَاوُلِ الطَّعَامِ. وَلَمْ يَسْأَلْ نَفْسَهُ مَرَّةً وَاحِدَةً إِذَا كَانَ الطَّعَامُ الَّذِي أَعَدَّهُ مُنَاسِبًا لِلثَّعْلَبِ أَمْ لا!

وَجَاءَ الثَّعْلَبُ إِلَى وَلِيمَةِ الْغُرَابِ، وَوَقَفَ أَمَامَ شَجَرَةِ السَّلَمِ فِي دَهْشَةٍ: مَا هَذَا الَّذِي أَعَدَّهُ لَهُ الْغُرَابُ؟ وَكَيْفَ يُمْسِكُ بِالتَّمَرَاتِ مِنْ بَيْنِ كُلِّ هَذِهِ الْأَشْوَاكِ؟

(*) شَجَرَةُ السَّلَمِ: شَجَرَةٌ تَنْمُو فِي الصَّحْرَاءِ، وَمَشْهُورَةٌ بِكَثَافَةِ أَفْرُعِهَا وَطُولِ أَشْوَاكِهَا وَكَثْرَتِهَا.

تَعَجَّلَهُ الْغُرَابُ وَقَالَ لَهُ:

- تَفَضَّلْ يَا صَدِيقِي، تَمْرٌ مِنْ أَجْوَدِ النَّخْلَاتِ فِي صَحْرَاءِ الْمِنْطَقَةِ كُلِّهَا.

مَدَّ الثَّعْلَبُ فَمَهُ يُرِيدُ أَنْ يَلْتَقِطَ تَمْرَةً، فَانْغَرَسَتِ الْأَشْوَاكُ فِي وَجْهِهِ وَآلَمَتْهُ! وَكُلَّمَا مَدَّ فَمَهُ نَاحِيَةَ وَاحِدَةٍ مِنْهَا تُؤْلِمُهُ الْأَشْوَاكُ، فَكَفَّ عَنِ الْمُحَاوَلَةِ، وَابْتَعَدَ عَنِ الشَّجَرَةِ وَهُوَ يَقُولُ لِلْغُرَابِ:

- شُكْرًا يَا صَدِيقِي عَلَى هَذِهِ الْمَأْدُبَةِ الْعَظِيمَةِ.

هَمَّ الثَّعْلَبُ بِالِانْصِرَافِ، وَلَكِنَّهُ قَبْلَ أَنْ يَتَحَرَّكَ قَالَ لِلْغُرَابِ:

- لَا تَنْسَ مَوْعِدَنَا فِي الْغَدِ.

رَدَّ الْغُرَابُ وَقَالَ:

- كَيْفَ أَنْسَى وَأَنْتَ سَتُعَلِّمُنِي حِيَلَ مَكْرِكَ وَخِدَاعِكَ؟!

وَافْتَرَقَ الصَّدِيقَانِ، وَفِي الْمِيعَادِ كَانَ الْغُرَابُ عِنْدَ الثَّعْلَبِ، قَدَّمَ لَهُ الثَّعْلَبُ وِعَاءً مَمْلُوءًا بِالْحَسَاءِ وَقَالَ لَهُ:

- تَفَضَّلْ.. حَسَاءٌ مَطْبُوخٌ بِالْمَاءِ وَالسَّمْنِ وَالدَّقِيقِ.

مَدَّ الْغُرَابُ مِنْقَارَهُ فِي الْوِعَاءِ فَلَمْ يَرْفَعْ لَهُ شَيْئًا، حَاوَلَ مَرَّاتٍ وَمَرَّاتٍ.. وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ يَخْرُجُ مِنْقَارُهُ خَالِيًا مِنَ الْحَسَاءِ إِلَّا مِنْ عِدَّةِ قَطَرَاتٍ تَعَلَّقَتْ بِهِ مِنَ الْخَارِجِ.. وَأَخِيرًا، كَفَّ عَنِ الْمُحَاوَلَةِ، وَقَالَ لِلثَّعْلَبِ:

- شُكْرًا يَا صَدِيقِي.. قَدْ شَبِعْتُ وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ.

بَعْدَ هَذِهِ التَّجْرِبَةِ.. تَأَكَّدَ الِاثْنَانِ أَنَّ كُلًّا مِنْهُمَا طَمِعَ فِي الْمَزَايَا الَّتِي أَعْطَاهَا اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ لِغَيْرِهِ، وَحَسَدَهُ عَلَيْهَا، وَأَرَادَ أَنْ يَأْخُذَهَا مِنْهُ لِنَفْسِهِ، وَلَمْ يُقَدِّرْ مَا أَعْطَاهُ اللهُ مِنْ مَزَايَا وَصِفَاتٍ لَوِ اسْتَغَلَّهَا جَيِّدًا لَعَاشَ حَيَاةً هَانِئَةً وَسَعِيدَةً.

الْمَالُ الْحَلَالُ

زَمَـانٌ.. هُنَاكَ فِي الزَّمَـنِ الْبَعِيدِ الَّذِي فَاتَ، كَانَ يَعِيشُ تَاجِرٌ كَبِيرٌ، رَزَقَهُ اللهُ مَالًا كَثِيـرًا، وَعَـرَفَ التَّاجِرُ أَنَّ الْمَالَ مَـالُ اللهِ، يُعْطِيهِ لِمَنْ يَشَـاءُ، وَيَأْخُذُهُ مِمَّنْ يَشَـاءُ، وَعَرَفَ أَنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَتَصَدَّقَ مِنْ مَالِهِ، فَلَمْ يَتْرُكْ مُحْتَاجًا إِلَّا وَسَـاعَدَهُ، وَلَا فَقِيرًا إِلَّا وَأَعْطَاهُ، وَلَا عَمَلًا فِي الْخَيْرِ إِلَّا وَسَاهَمَ فِيهِ؛ لِذَلِكَ كَانَ مَالُهُ يَزِيدُ وَيَزِيدُ، وَكُلَّمَا زَادَ مَالُهُ.. زَادَتْ صَدَقَاتُهُ وَتَبَرُّعَاتُهُ لِلْخَيْرِ.

كَانَ هَذَا التَّاجِرُ يَخْرُجُ بِتِجَارَتِهِ فِي قَوَافِلَ إِلَى بِلَادٍ بَعِيدَةٍ، يَشْتَرِي بَضَائِعَ مِنْ هُنَا.. وَيَبِيعُهَـا هُنَاكَ، وَيَشْـتَرِي مِنْ هُنَاكَ بَضَائِـعَ جَدِيدَةً وَيَعُودُ بِهَا، يَبِيـعُ مَا أَحْضَرَهُ مِنْ بِضَاعَةٍ، وَيَكْسِبُ مِنْ هُنَا وَهُنَاكَ، وَيُجَهِّزُ قَوَافِلَ جَدِيدَةً، وَيَتَوَكَّلُ عَلَى اللهِ وَيُسَافِرُ.

وَبَيْنَمَا الرَّجُلُ فِي إِحْدَى سَفَرَاتِهِ الطَّوِيلَةِ، جَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الْبَدْوِ، وَاقْتَرَضَ مِنْهُ مَبْلَغًا مِنَ الْمَالِ، عَلَى أَنْ يَرُدَّهُ فِي الْعَامِ الْقَادِمِ، وَاشْتَرَى بِهِ قَطِيعًا مِنَ الْأَغْنَامِ وَالْمَاعِزِ وَالْجِمَالِ، وَرَاحَ يَتَّجِرُ بِهَا، وَلِأَنَّهُ يَنْوِي سَدَادَ دَيْنِهِ لِلتَّاجِرِ بَارَكَ اللهُ لَهُ فِي تِجَارَتِهِ، وَكَثُرَتْ أَغْنَامُهُ وَمَوَاشِيهِ، وَمَرَّ الْعَامُ وَانْتَظَرَ أَنْ تَمُرَّ الْقَافِلَةُ حَتَّى يُسَدِّدَ لِلتَّاجِرِ دَيْنَهُ لَكِنَّهَا لَمْ تَمُرَّ، فَرَاحَ يَبْحَثُ عَنْهُ.

ذَهَبَ الْبَدَوِيُّ إِلَى كُلِّ الْبِلَادِ الَّتِي يُسَافِرُ إِلَيْهَا التَّاجِرُ، سَأَلَ عَنْهُ كُلَّ التُّجَّارِ وَأَصْحَابَ الْقَوَافِلِ، لَمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ إِلَى أَيْنَ ذَهَبَ وَلَا مَتَى سَيَجِيءُ!

يَئِسَ الْبَدَوِيُّ مِنْ رَدِّ الْمَالِ إِلَى صَاحِبِهِ، وَأَعْطَاهُ إِلَى وَلَدِهِ وَقَالَ لَهُ:

- هَذَا الْمَالُ أَمَانَةٌ يَا وَلَدِي.. عَلَيْكَ أَنْ تَسْتَثْمِرَهُ لِصَاحِبِهِ، وَأَنْ تَظَلَّ تَبْحَثُ عَنْهُ حَتَّى تُوَصِّلَهُ إِلَيْهِ مَهْمَا كَلَّفَكَ ذَلِكَ مِنْ وَقْتٍ وَجُهْدٍ وَعَرَقٍ.

اشْتَرَى الشَّابُّ بِمَالِ التَّاجِرِ مَوَاشِيَ وَأَغْنَامًا، وَرَاحَ يُتَاجِرُ فِيهَا لِحِسَابِ صَاحِبِهَا الَّذِي لَا يَعْرِفُ أَحَدٌ أَيْنَ ذَهَبَ، وَكُلَّمَا بَاعَ وَاشْتَرَى كَسَبَ وَرَبِحَ، وَزَادَ رَأْسُ مَالِ التَّاجِرِ عِنْدَهُ، وَهُوَ عَلَيْهِ أَمِينٌ. يَعْرِفُ أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يُسَلِّمَهُ يَوْمًا لِصَاحِبِهِ.

أَمَّا التَّاجِرُ، فَكَمَا أَعْطَاهُ اللهُ سُبْحَانَهُ الْمَالَ فَقَدْ أَخَذَهُ مِنْهُ ثَانِيَةً، وَجَعَلَهُ يَخْسَرُهُ فِي إِحْدَى رِحْلَاتِهِ، وَوَضَعَهُ فِي اخْتِبَارٍ لِيَرَى هَلْ سَيَصْبِرُ عَلَى فَقْدِهِ أَمْ لَا، لَكِنَّ الرَّجُلَ صَبَرَ عَلَى قَضَاءِ اللهِ وَلَمْ يَحْزَنْ، حَمِدَ اللهَ عَلَى مَا أَعْطَى، وَحَمِدَهُ عَلَى مَا أَخَذَ، وَاعْتَزَلَ النَّاسَ وَعَاشَ فَقِيرًا فِي دَارٍ صَغِيرَةٍ كَانَ يَمْلِكُهَا.

ظَلَّ الشَّابُّ الْبَدَوِيُّ يُتَاجِرُ فِي مَالِ الرَّجُلِ وَيَبْحَثُ عَنْهُ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ، وَيَسْأَلُ عَنْهُ أَصْحَابَ الْقَوَافِلِ الَّتِي تَمُرُّ عَلَيْهِ، لَا أَحَدَ يَعْرِفُ أَيْنَ ذَهَبَ، يَسْأَلُ عَنْهُ فِي كُلِّ الْأَسْوَاقِ الَّتِي يَذْهَبُ إِلَيْهَا لِيَبِيعَ أَوْ يَشْتَرِيَ.. وَلَا أَحَدَ صَارَ يَرَاهُ فِي السُّوقِ.

وَيَزِيـدُ عِبْءُ الْأَمَانَةِ عَلَى الشَّـابِّ الْبَدَوِيِّ.. فَمَالُ الرَّجُلِ يَكْثُرُ لَدَيْهِ، وَالشَّـيْطَانُ يُوَسْـوِسُ فِي قَلْبِـهِ أَنْ يَأْخُذَهُ مَـا دَامَ لَا يَعْرِفُ صَاحِبَـهُ. لَكِنَّهُ لَمْ يُطِعِ الشَّـيْطَانَ وَلَمْ يَيْأَسْ قَطُّ مِنَ الْعُثُورِ عَلَى التَّاجِرِ صَاحِبِ الْمَالِ حَتَّى يَرُدَّهُ إِلَيْهِ.

وَذَاتَ يَوْمٍ.. حِينَ أَرَادَ اللهُ ـ سُـبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ أَنْ يُرِيحَ قَلْبَ الشَّـابِّ الْبَدَوِيِّ مِنْ حَمْـلِ الْأَمَانَـةِ الَّتِـي حَمَّلَهَا لَهُ أَبُوهُ، كَانَ فِي أَحَدِ الْأَسْـوَاقِ وَرَاحَ يَسْـأَلُ عَنِ التَّاجِرِ كَعَادَتِهِ، وَيَا لَفَرْحَتِهِ حِينَ وَجَدَ عَجُوزًا يَعْرِفُ أَيْنَ هُوَ.. وَأَخْبَرَهُ عَنِ الدَّارِ الصَّغِيرَةِ الْفَقِيرَةِ الَّتِي يَعِيشُ فِيهَا فِي أَحَدِ أَزِقَّةِ الْمَدِينَةِ.

أَنْهَى الشَّـابُّ بَيْعَهُ وَشِـرَاءَهُ، وَسَاقَ مَا مَعَهُ مِنْ مَوَاشٍ وَأَغْنَامٍ وَتَرَكَهَا عَلَى أَبْوَابِ الْمَدِينَةِ، وَرَاحَ يَسْـأَلُ عَنِ الدَّارِ الَّتِي يَسْـكُنُ فِيهَا التَّاجِرُ. دَقَّ عَـلَى بَابِهَا عِدَّةَ مَرَّاتٍ حَتَّى أَتَاهُ صَوْتٌ ضَعِيفٌ مِنَ الدَّاخِلِ يَقُولُ:

ـ مَنِ الطَّارِقُ؟

رَدَّ الشَّابُّ الْبَدَوِيُّ فِي فَرْحَةٍ وَقَالَ:

- أَنَا يَا عَمُّ.

سَأَلَ الرَّجُلُ مِنَ الدَّاخِلِ بِصَوْتٍ ضَعِيفٍ، وَقَالَ:

- مَنْ أَنْتَ؟

أَجَابَ الشَّابُّ الْبَدَوِيُّ قَائِلًا:

- أَنْتَ لَا تَعْرِفُنِي يَا سَيِّدِي، وَلَكِنِّي أَعْرِفُكَ جَيِّدًا، وَمَعِي لَكَ أَمَانَةٌ أُرِيدُ أَنْ تُرِيحَنِي مِنْ حَمْلِهَا.

فَتَحَ الرَّجُلُ بَابَ دَارِهِ، وَاسْتَقْبَلَ الْبَدَوِيَّ وَاعْتَذَرَ لَهُ عَنْ فَقْرِهِ؛ فَلَيْسَ عِنْدَهُ شَيْءٌ يُقَدِّمُهُ لَهُ، لَكِنَّ الشَّابَّ طَيَّبَ خَاطِرَهُ، وَحَكَى لَهُ حِكَايَةَ الْقَرْضِ الَّذِي اقْتَرَضَهُ مِنْهُ وَالِدُهُ، وَأَنَّهُ بَحَثَ عَنْهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ لِيَرُدَّهُ إِلَيْهِ، فَلَمْ يَعْثُرْ عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ قَدْ تَاجَرَ بِمَالِهِ وَرَبِحَ مِنْ وَرَائِهِ أَمْوَالًا كَثِيرَةً هِيَ مِنْ حَقِّهِ، وَأَخْبَرَهُ بِأَنَّهُ تَرَكَ الْمَوَاشِيَ وَالْأَغْنَامَ تَرْعَى خَارِجَ الْمَدِينَةِ.. وَفِي النِّهَايَةِ قَالَ لَهُ:

- أَرْجُوكَ.. تَعَالَ مَعِي لِتَتَسَلَّمَ مَالَكَ وَتُرِيحَنِي.

صَمَتَ الرَّجُلُ كَثِيرًا.. ثُمَّ اعْتَمَدَ عَلَى عَصَاهُ حَتَّى وَقَفَ عَلَى قَدَمَيْهِ، فَوَقَفَ الشَّابُّ أَمَامَهُ احْتِرَامًا لَهُ، مَدَّ الرَّجُلُ لِيُسَلِّمَ عَلَى الشَّابِّ فَمَدَّ لَهُ يَدَهُ، وَحِينَ الْتَقَى الْكَفَّانِ، قَالَ الرَّجُلُ لِلْبَدَوِيِّ:

- شُكْرًا يَا وَلَدِي.. لَقَدْ أَدَّيْتَ الْأَمَانَةَ وَوَفَيْتَ بِعَهْدِ اللهِ، حَفِظْتَ الْأَمَانَةَ حَتَّى أَدَّيْتَهَا لِمَنِ ائْتَمَنَكَ عَلَيْهَا. وَقَدْ قَبِلْتُهَا مِنْكَ شَاكِرًا لَكَ.

ارْتَاحَ قَلْبُ الْفَتَى الْبَدَوِيِّ، وَشَكَرَ الرَّجُلَ وَهَمَّ بِالْخُرُوجِ، لَكِنَّ صَوْتَ الرَّجُلِ لَحِقَ بِهِ يَقُولُ لَهُ:

- لَكِنِّي أُهْدِيهِ كُلَّهُ لَكَ مُكَافَأَةً لَكَ عَلَى أَمَانَتِكَ.

تَاجِرُ الْبُنِّ

زَمَـانٌ.. فِي ذَلِكَ الزَّمَـنِ الَّذِي فَاتَ، لَمْ تَكُنِ الْكُوَيْتُ مِثْـلَ مَا هِيَ الْآنَ، فَكَانَتْ هُنَـاكَ سُـوقٌ لِلْحُبُوبِ فِي وَسَـطِ الْمَدِينَـةِ، وَكَانَتِ السُّـوقُ عِبَارَةً عَـنْ دَكَاكِينَ مِنَ الْخَشَـبِ مُتَلَاصِقَةٍ بِجَانِـبِ بَعْضِهَا، وَأَمَامَ كُلٍّ مِنْهَا مِسَـاحَةٌ خَالِيَةٌ لَهَا سَـقِيفَةٌ مِنَ الْقُمَاشِ تَحْمِي الْبَضَائِعَ وَالزُّوَّارَ مِنْ لَهِيبِ الشَّمْسِ.

وَذَاتَ يَـوْمٍ مِـنْ أَيَّامِ ذَلِكَ الزَّمَنِ، صَحَا الْحَاجُّ «أَبُـو أَحْمَدَ»، تَاجِرُ حُبُوبِ الْبُنِّ، مِنْ نَوْمِهِ مُبَكِّرًا.. قَالَتْ لَهُ نَفْسُهُ:

ـ الْبَرَكَةُ فِي الْبُكُورِ يَا «أَبَا أَحْمَدَ»، هَيَّا اذْهَبْ إِلَى السُّوقِ وَافْتَحْ دُكَّانَكَ.

أَطَاعَ الْعَمُّ «أَبُو أَحْمَدَ» نَفْسَهُ، وَخَرَجَ مِنْ دَارِهِ وَذَهَبَ إِلَى الْجَامِعِ وَصَلَّى الْفَجْرَ، ثُمَّ اتَّجَهَ نَاحِيَةَ السُّوقِ، وَفَتَحَ دُكَّانَهُ قَبْلَ شُرُوقِ الشَّمْسِ، وَأَخْرَجَ أَجْوِلَةَ الْبُقُولِ إِلَى السَّاحَةِ أَمَامَ الدُّكَّانِ فِي انْتِظَارِ الْمُشْتَرِينَ.

وَبَـدَأَ التُّجَّـارُ يَتَوَافَدُونَ إِلَى السُّـوقِ، كُلٌّ مِنْهُمْ يَذْهَبُ إِلَى دُكَّانِـهِ، وَيَفْتَحُ أَبْوَابَهُ، وَيَرُصُّ بِضَاعَتَهُ فِي الْمِسَـاحَةِ الْخَالِيَةِ أَمَامَهُ، وَكُلُّهُمْ يَنْتَظِرُونَ الرِّزْقَ الَّذِي سَيُرْسِلُهُ اللهُ إِلَيْهِمْ هَذَا النَّهَارَ.

جَـاءَ الْعَـمُّ «تَقِيُّ الدِّينِ» تَاجِرُ الْبُنِّ إِلَى دُكَّانِ الْعَمِّ «أَبِـي أَحْمَدَ»، وَقَفَ عَلَى بَابِهِ، وَأَلْقَى تَحِيَّةَ الْإِسْلَامِ، رَدَّ الْعَمُّ «أَبُو أَحْمَدَ» تَحِيَّتَهُ وَدَعَا لَهُ بِالسَّلَامِ وَالرَّحْمَةِ وَالْبَرَكَةِ، وَدَعَاهُ لِيَشْرَبَ مَعَهُ قَهْوَةَ الصَّبَاحِ.

جَلَسَ الرَّجُلَانِ يَتَحَدَّثَانِ فِي أُمُورِ السُّوقِ وَالتِّجَارَةِ، وَسَأَلَ الْعَمُّ «تَقِيُّ الدِّينِ» الْعَمَّ «أَبَا أَحْمَدَ» وَقَالَ لَهُ:

- مَاذَا عِنْدَكَ الْيَوْمَ يَا «أَبَا أَحْمَد» لِلْبَيْعِ؟

أَشَارَ الْعَمُّ «أَبُو أَحْمَدَ» إِلَى خَمْسِمِئَةِ كِيسٍ مِنْ أَكْيَاسِ الْبُنِّ، وَقَالَ:

- عِنْدِي أَكْيَاسُ الْبُنِّ هَذِهِ.

سَأَلَ الْعَمُّ «تَقِيُّ الدِّينِ» وَقَالَ:

- بِكَمْ تُرِيدُ أَنْ تَبِيعَهَا؟

قَالَ «أَبُو أَحْمَدَ»:

- الْكِيسُ بِدِينَارَيْنِ وَنِصْفٍ.

قَالَ «تَقِيُّ الدِّينِ» مُسْتَعْطِفًا:

- اجْعَلْهَا دِينَارَيْنِ فَقَطْ.

تَمْتَمَ الْعَمُّ «أَبُو أَحْمَدَ» وَقَالَ لَهُ:

- لَوْلَا أَنَّنِي فِي حَاجَةٍ لِلْمَالِ مَا بِعْتُهَا.

وَوَاصَلَ الرَّجُلَانِ حَدِيثَ التِّجَارَةِ وَأَسْبَابَ الرِّبْحِ وَالْخَسَارَةِ، وَلَمْ يَكْتُبَا عَقْدًا بِبَيْعِ أَكْيَاسِ الْبُنِّ، وَلَمْ يَدْفَعْ «تَقِيُّ الدِّينِ» دِينَارًا وَاحِدًا، وَلَمْ يَنْقُلِ الْأَكْيَاسَ إِلَى دُكَّانِهِ، فَقَطْ.. كَانَتْ هُنَاكَ كَلِمَةٌ.. هَذَا اشْتَرَى.. وَذَلِكَ وَافَقَ عَلَى الْبَيْعِ.

وَمَرَّتِ الْأَيَّامُ.. وَنَسِيَ الْعَمُّ «تَقِيُّ الدِّينِ» شِرَاءَهُ لِأَكْيَاسِ الْبُنِّ مِنْ عِنْدِ صَاحِبِهِ «أَبِي أَحْمَدَ»، لَكِنَّ «أَبَا أَحْمَدَ» لَمْ يَنْسَ، وَأَسْعَارُ الْبُنِّ تَتَزَايَدُ، وَكُلَّمَا سَأَلَهُ وَاحِدٌ مِنَ التُّجَّارِ عَنِ الْبُنِّ يَقُولُ لَهُمْ:

- مَا عِنْدِي مِنْهُ شَيْءٌ.

وَيَتَعَجَّبُ التُّجَّارُ، فَالْأَكْيَاسُ مَوْجُودَةٌ أَمَامَهُمْ.. يَرَوْنَهَا بِأَعْيُنِهِمْ، لَكِنَّ الْعَمَّ «أَبَا أَحْمَدَ» يَنْفِي أَنَّ عِنْدَهُ شَيْئًا.. ظَنُّوا أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَرْفَعَ سِعْرَهُ، قَالُوا لَهُ سَنُعْطِيكَ السِّعْرَ

الَّذِي تُرِيدُ.. لَكِنَّهُ أَكَّدَ لَهُمْ أَنَّهُ لَيْسَ عِنْدَهُ كِيسٌ وَاحِدٌ مِنَ الْبُنِّ، فَقَدْ بَاعَ كُلَّ مَا عِنْدَهُ لِـ«تَقِيِّ الدِّينِ» وَلَمْ يَنْقُلْهُ إِلَى دُكَّانِهِ.

أَسْرَعَ التُّجَّارُ إِلَى «تَقِيِّ الدِّينِ» فِي دُكَّانِهِ، وَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُمْ جَاءُوا لِيَشْتَرُوا مِنْهُ كُلَّ أَكْيَاسِ الْبُنِّ الَّتِي عِنْدَهُ وَبِالسِّعْرِ الَّذِي يُرِيدُ، تَعَجَّبَ الرَّجُلُ وَأَشَارَ إِلَى بِضَاعَتِهِ وَمَخَازِنِهِ وَقَالَ لَهُمْ:

- أَيُّ بُنٍّ هَذَا الَّذِي تَتَكَلَّمُونَ عَنْهُ؟ لَيْسَ عِنْدِي حَبَّةٌ وَاحِدَةٌ مِنْهُ!

تَعَجَّبَ التُّجَّارُ أَكْثَرَ مِنْ تَعَجُّبِهِ، وَأَخْبَرُوهُ أَنَّ التَّاجِرَ «أَبَا أَحْمَدَ» أَكَّدَ لَهُمْ أَنَّهُ بَاعَ لَهُ كُلَّ مَا عِنْدَهُ مِنْ أَكْيَاسِ الْبُنِّ.. وَتَسَاءَلُوا: لِمَاذَا يُنْكِرُ هُوَ؟

هَبَّ التَّاجِرُ «تَقِيُّ الدِّينِ» خَارِجًا مِنْ دُكَّانِهِ، وَأَخَذَ طَرِيقَهُ إِلَى دُكَّانِ التَّاجِرِ «أَبِي أَحْمَدَ» وَالتُّجَّارُ مِنْ خَلْفِهِ، وَحِينَ وَصَلُوا إِلَيْهِ بَدَأَ «تَقِيُّ الدِّينِ» بِسُؤَالِ «أَبِي أَحْمَدَ» وَقَالَ لَهُ:

- أَيُّ بُنٍّ هَذَا الَّذِي بِعْتَهُ لِي؟!

فِي هُدُوءٍ قَالَ «أَبُو أَحْمَدَ»:

- أَلَمْ تَأْتِ إِلَى دُكَّانِي مُنْذُ فَتْرَةٍ، وَتَحَادَثْنَا مَعًا بِشَأْنِ أَكْيَاسِ حُبُوبِ الْقَهْوَةِ، وَعَرَضْتَ أَنْتَ الثَّمَنَ، وَوَافَقْتُ أَنَا عَلَيْهِ؟

صَاحَ «تَقِيُّ الدِّينِ» مُحْتَجًّا، وَقَالَ:

- لَكِنِّي لَمْ أُعْطِكَ الثَّمَنَ.

صَاحَ «أَبُو أَحْمَدَ» وَقَالَ:

- يَا أَخِي بِعْتُ لَكَ أَكْيَاسَ حُبُوبِ الْقَهْوَةِ سَوَاءٌ دَفَعْتَ ثَمَنَهَا أَمْ لَا، هَيَّا انْقُلْهَا إِلَى دُكَّانِكَ.

أَصَـرَّ الْعَمُّ «أَبُو أَحْمَدَ» عَلَى أَنَّهُ بَاعَ حُبُوبَ الْقَهْـوَةِ لِـ«تَقِيِّ الدِّينِ»، وَأَصَرَّ «تَقِيُّ الدِّيـنِ» عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَشْـتَرِ شَـيْئًا، وَاحْتَارَ التُّجَّـارُ مِنْ حَوْلِهِمَا مَـاذَا يَفْعَلُونَ. وَأَخِيرًا قَرَّرُوا أَنْ يَذْهَبُوا بِهِمَا إِلَى كَبِيرِ التُّجَّارِ لِيَفْصِلَ بَيْنَهُمَا.

فِي مَجْلِـسِ كَبِيرِ التُّجَّارِ، عَـرَضَ كُلٌّ مِنْهُمَا رَأْيَهُ وَأَصَرَّ عَلَيْـهِ، لَكِنَّ كَبِيرَ التُّجَّارِ كَانَ لَهُ رَأْيٌ آخَرُ لِحَلِّ هَذِهِ الْمُشْكِلَةِ، وَقَالَ لَهُمَا:

- اقْسِـمَا أَكْيَاسَ الْحُبُـوبِ بَيْنَكُمَا مُنَاصَفَةً، وَيَبِيعُ كُلٌّ مِنْكُمَـا النِّصْفَ الْخَاصَّ بِهِ بِالسِّـعْرِ الَّذِي يَرْضَاهُ، أَمَّا النِّصْفُ الَّذِي يَأْخُذُهُ «تَقِيُّ الدِّينِ» فَيَدْفَعُ ثَمَنَهُ حَسَـبَ السِّعْرِ الَّذِي اتَّفَقْتُمَا عَلَيْهِ مِنْ قَبْلُ.

قَبِـلَ الرَّجُـلَانِ رَأْيَ كَبِيرِ التُّجَّارِ، وَاسْـتَأْذَنَ الْجَمِيعُ وَخَـرَجَ كُلٌّ مِنْهُمْ إِلَى حَالِهِ، وَهُمْ يَتَعَجَّبُونَ مِنْ إِصْرَارِ كُلٍّ مِنْ «تَقِيِّ الدِّينِ» وَ«أَبِي أَحْمَدَ» عَلَى أَمَانَتِهِمَا.

مِنْدِيلُ الْعَرَقِ

زَمَانٌ، فِي ذَلِكَ الزَّمَنِ الَّذِي فَاتَ، كَانَ هُنَاكَ وَادٍ بَيْنَ الْجِبَالِ، أَرْضُهُ رَمْلِيَّةٌ لَا تَعْرِفُ الزِّرَاعَةَ، اللَّهُمَّ إِلَّا بَعْضَ الشُّجَيْرَاتِ الْقَصِيرَةِ، الَّتِي تَنْبُتُ لِأَيَّامٍ قَلِيلَةٍ، تُعْطِي زَهْرَهَا، وَيُعْطِي الزَّهْرُ بُذُورًا تَحْمِلُهَا الرِّيَاحُ لِمَكَانٍ رَمْلِيٍّ آخَرَ، وَتَجِفُّ الشُّجَيْرَاتُ الْأَصْلِيَّةُ، وَتَتَحَوَّلُ إِلَى حَطَبٍ بَعْدَ أَنْ قَامَتْ بِدَوْرِهَا، وَتَرَكَتْ بُذُورًا تَنْبُتُ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ شُجَيْرَاتٍ مِثْلَهَا.

وَسُبْحَانَ اللهِ خَالِقِ كُلِّ شَيْءٍ، فِي وَسَطِ هَذَا الْوَادِي مِسَاحَةٌ كَبِيرَةٌ صَالِحَةٌ لِلزِّرَاعَةِ، عَرَفَهَا فَلَّاحٌ يَفْهَمُ فِي الزِّرَاعَةِ، فَمَهَّدَهَا وَبَنَى لِنَفْسِهِ وَلِأُسْرَتِهِ بَيْتًا وَسَطَهَا، وَبَذَرَ فِيهَا الْبُذُورَ لِكُلِّ صِنْفٍ وَنَوْعٍ مِنَ الثِّمَارِ وَالْفَاكِهَةِ، وَجَلَسَ فِي انْتِظَارِ الْمَطَرِ يَرْوِيهَا لَهُ.

لَمْ تَبْخَلْ عَلَيْهِ السَّمَاءُ يَوْمًا بِالْأَمْطَارِ، تَرْوِي لَهُ الْأَرْضَ فَتَنْبُتُ الْبُذُورُ، وَتَجُودُ بِالْخَيْرِ الَّذِي يَكْفِيهِ وَيَكْفِي أُسْرَتَهُ.

وَذَاتَ مَـرَّةٍ، بَذَرَ الْفَـلَّاحُ الْبُذُورَ، وَانْتَظَرَ أَنْ تُمْطِرَ السَّـمَاءُ، مَرَّتِ السُّـحُبُ مِنْ فَوْقِهِ لِتُنْزِلَ مَاءَهَا فِي أَرْضٍ بَعِيدَةٍ، وَعَطِشَتِ الْأَرْضُ وَتَشَقَّقَتْ، وَلَمْ تَنْبُتِ الْبُذُورُ.

قَـرَّرَ الْفَـلَّاحُ أَنْ يَذْهَبَ لِيَبْحَثَ عَنْ عَمَلٍ؛ فَالْأَرْضُ لَـنْ تُعْطِيَ خَيْرًا هَذِهِ الْأَيَّامَ، حَمَلَ فَأْسَهُ وَوَدَّعَ أَهْلَهُ وَانْطَلَقَ فِي الصَّحْرَاءِ، وَعَبَرَ أَوْدِيَةً وَصَعِدَ جِبَالًا، وَلَمْ يَيْأَسْ مِنَ الْعُثُورِ عَلَى مَنْ يَسْتَأْجِرُهُ لِيَعْمَلَ عِنْدَهُ.

رَأَتْ عَيْنَا الْفَلَّاحِ قَصْرًا عَالِيًا عَلَى الْبُعْدِ.. تُحِيطُ بِهِ أَسْـوَارٌ عَالِيَةٌ، تَتَسَـلَّقُ جُدْرَانَهُ أَعْوَادُ الزُّهُورِ، أَخَذَ طَرِيقَهُ إِلَيْهِ، وَعِنْدَ اقْتِرَابِهِ مِنَ الْبَابِ صَاحَ بِهِ الْحَارِسُ، وَقَالَ لَهُ:

- أَنْتَ.. اذْهَبْ بَعِيدًا.. هَيَّا.

رَدَّ الْفَلَّاحُ فِي هُدُوءٍ وَقَالَ:

- أُرِيدُ لِقَاءَ صَاحِبِ الْقَصْرِ.

سَمَحَ الْحَارِسُ لِلْفَلَّاحِ بِالدُّخُولِ، قَادَهُ حَارِسٌ آخَرُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى صَاحِبِ الْقَصْرِ، فَوَجَدَهُ أَمِيرًا، وَلَمَّا سَلَّمَ عَلَيْهِ رَدَّ الْأَمِيرُ السَّلَامَ وَقَالَ لَهُ:

- مَاذَا تُرِيدُ؟

قَالَ الْفَلَّاحُ:

- أُرِيدُ أَنْ أَعْمَلَ.

سَأَلَ الْأَمِيرُ الْفَلَّاحَ وَقَالَ لَهُ:

- مَا مِهْنَتُكَ؟
- أَنَا فَلَّاحٌ أَفْهَمُ فِي الزِّرَاعَةِ.
- لَسْتُ فِي حَاجَةٍ إِلَى فَلَّاحِينَ.. لَكِنْ تُوجَدُ حَوْلَ الْقَصْرِ صُخُورٌ كَبِيرَةٌ أُرِيدُ مَنْ يَكْسِرُهَا.

قَالَ الْفَلَّاحُ فِي ثِقَةٍ:

- وَأَنَا لَهَا.

قَالَ الْأَمِيرُ:

- وَأَنَا سَأُعْطِيكَ دِينَارًا ذَهَبِيًّا أَجْرًا لَكَ كُلَّ أُسْبُوعٍ.

أَخْرَجَ الْفَلَّاحُ مِنْدِيلًا مِنْ جَيْبِهِ وَفَرَدَهُ أَمَامَ الْأَمِيرِ، وَقَالَ لَهُ:

- لَا أُرِيدُ أَكْثَرَ مِنْ وَزْنِ هَذَا الْمِنْدِيلِ فِي نِهَايَةِ الْأُسْبُوعِ.

تَعَجَّبَ الْأَمِيرُ مِنْ كَلَامِ الْفَلَّاحِ، وَقَالَ لَهُ:

- وَمَاذَا يَزِنُ هَذَا الْمِنْدِيلُ يَا رَجُلُ؟!

رَدَّ الْفَلَّاحُ فِي ثِقَةٍ وَقَالَ:

- أَنَا رَاضٍ بِهِ حَتَّى لَوْ لَمْ يَزِنْ أَكْثَرَ مِنْ نِصْفِ قِرْشٍ.

تَرَكَ الْفَلَّاحُ فَأْسَهُ، وَأَخَذَ مِطْرَقَةً ثَقِيلَةً وَاتَّجَهَ نَحْوَ الصَّخْرَةِ الْأُولَى، وَقَفَ أَمَامَهَا

مُتَحَدِّيًا، وَاسْتَعَانَ بِاللهِ الْقَوِيِّ الْعَزِيزِ، وَرَفَعَ مِطْرَقَتَهُ إِلَى أَعْلَى، وَوَضَعَ قُوَّتَهُ كُلَّهَا فِي سَاعِدَيْهِ، وَبِاسْمِ اللهِ انْدَفَعَتِ الْمِطْرَقَةُ إِلَى الصَّخْرَةِ، تَضْرِبُهَا بِقُوَّةٍ، وَتَطَايَرَ الشَّرَرُ مِنْ حَوْلِهَا، وَمَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، بَدَأَتِ الصَّخْرَةُ تَتَشَقَّقُ وَتَتَكَسَّرُ إِلَى أَحْجَارٍ صَغِيرَةٍ.

وَيَتَسَاقَطُ الْعَرَقُ مِنْ وَجْهِ الْفَلَّاحِ وَسَاعِدَيْهِ كَحَبَّاتِ الْمَطَرِ، فَيُخْرِجُ مِنْدِيلَهُ وَيُمَرِّرُهُ عَلَى جِلْدِهِ، وَيَمْتَصُّ الْمِنْدِيلُ الْعَرَقَ، وَيَعُودُ الرَّجُلُ إِلَى عَمَلِهِ.

وَاصَلَ الْفَلَّاحُ عَمَلَهُ فِي تَكْسِيرِ الصُّخُورِ كُلَّ يَوْمٍ، وَفِي كُلِّ يَوْمٍ يُفْرِزُ جَسَدُهُ عَرَقًا غَزِيرًا وَيَمْسَحُهُ بِالْمِنْدِيلِ، وَفِي نِهَايَةِ الْأُسْبُوعِ كَانَ الْفَلَّاحُ قَدِ انْتَهَى مِنْ تَكْسِيرِ كُلِّ الصُّخُورِ، وَشَرِبَ الْمِنْدِيلُ كَمِّيَّاتٍ كَبِيرَةً مِنْ عَرَقِهِ حَتَّى صَارَ مُبَلَّلًا.

أُعْجِبَ الْأَمِيرُ بِعَمَلِ الْفَلَّاحِ فَدَعَا لَهُ بِالصِّحَّةِ وَقَالَ لَهُ:

- هَاتِ مِنْدِيلَكَ كَيْ أَزِنَهُ لَكَ ذَهَبًا.

أَخْرَجَ الْفَلَّاحُ الْمِنْدِيلَ الْمَبْلُولَ بِالْعَرَقِ وَنَاوَلَهُ لِلْأَمِيرِ، وَضَعَهُ الْأَمِيرُ فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ وَوَضَعَ دِينَارًا ذَهَبِيًّا فِي الْكِفَّةِ الْأُخْرَى، لَمْ تَتَعَادَلِ الْكِفَّتَانِ! أَحْضَرَ الْأَمِيرُ مِنْدِيلًا مِثْلَ الْمِنْدِيلِ وَبَلَّلَهُ بِالْمَاءِ، وَوَضَعَهُ بَدَلًا مِنْ مِنْدِيلِ الْفَلَّاحِ فَهَبَطَتْ كِفَّةُ الدِّينَارِ، أَعَادَ الْأَمِيرُ مِنْدِيلَ الْفَلَّاحِ إِلَى كِفَّةِ الْمِيزَانِ فَهَبَطَتْ وَارْتَفَعَتِ الثَّانِيَةُ! ثَارَ الْأَمِيرُ وَقَالَ:

- الْمِنْدِيلُ مِثْلُ الْمِنْدِيلِ، وَالِاثْنَانِ مُبَلَّلَانِ.. فَلِمَاذَا مِنْدِيلُكَ أَثْقَلُ؟!

أَجَابَ الْفَلَّاحُ وَقَالَ:

- يَا سَيِّدِي الْأَمِيرَ.. مِنْدِيلِي مُحَمَّلٌ بِعَرَقِي، وَعَرَقُ الرَّجُلِ الَّذِي يَعْمَلُ بِشَرَفٍ حَتَّى يَكْسِبَ قُوتَهُ يَكُونُ أَثْقَلَ مِنَ الْمَاءِ كَثِيرًا.

وَعَادَ لِلْمِيزَانِ يَضَعُ الدَّنَانِيرَ الْوَاحِدَ بَعْدَ الْآخَرِ حَتَّى صَارُوا عَشَرَةً، فَارْتَفَعَتْ كِفَّةُ الْمِنْدِيلِ وَتَعَادَلَتْ مَعَ كِفَّةِ الذَّهَبِ، أَعْطَاهَا الْأَمِيرُ لِلْفَلَّاحِ وَهُوَ يَقُولُ لَهُ:

- بَارَكَ اللهُ لَكَ فِي جُهْدِكَ وَعَرَقِكَ وَمَالِكَ.

الْحِمَارُ وَالثَّوْرُ

زَمَـانٌ، فِي ذَلِكَ الزَّمَنِ الَّذِي مَضَى، كَانَ هُنَاكَ بَدَوِيٌّ يَسْـكُنُ الصَّحْرَاءَ، لَيْسَ لَهُ بَيْـتٌ مِنَ الطُّوبِ أَوِ الْحِجَارَةِ، لَكِنَّهُ بَيْتٌ صَنَعَتْهُ النِّسَـاءُ مِنْ وَبَرِ الْجِمَالِ وَأَصْوَافِ الْمَاعِزِ وَالْأَغْنَامِ، يَنْقُلُونَهُ مَعَهُمْ إِلَى حَيْثُ يَجِدُونَ الْمَاءَ وَالْأَعْشَابَ.

كَانَ عِنْدَ هَذَا الْبَدَوِيِّ حِمَارٌ عَجُوزٌ لَا يَقْدِرُ عَلَى حَمْلِ الْأَثْقَالِ، فَلَمْ يَعُدْ فِي حَاجَةٍ إِلَيْهِ، وَصَارَ يَتْرُكُهُ يَذْهَبُ إِلَى حَيْثُ شَاءَ، وَيَعُودُ وَقْتَ مَا يَشَاءُ.

وَذَاتَ مَرَّةٍ، أَكَلَتْ مَوَاشِي الْبَدَوِيِّ كُلَّ الْأَعْشَابِ الَّتِي فِي الْوَادِي، فَقَرَّرَ الرَّحِيلَ بِهَا إِلَى مَكَانٍ آخَرَ يَجِدُ فِيهِ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ، وَحَلَّ بَيْتَهُ وَحَمَلَهُ عَلَى الْجِمَالِ وَارْتَحَلَ.

نَسِيَ الْبَدَوِيُّ حِمَارَهُ الْعَجُوزَ، وَوَجَدَ الْحِمَارُ نَفْسَهُ وَحِيدًا فِي مَكَانٍ لَيْسَ فِيهِ طَعَامٌ وَلَا شَرَابٌ، فَسَارَ فِي الصَّحْرَاءِ لَا يَعْرِفُ إِلَى أَيْنَ يَذْهَبُ.

وَمِنْ حُسْنِ حَظِّ الْحِمَارِ أَنَّهُ لَمْ يُقَابِلْهُ حَيَوَانٌ مُفْتَرِسٌ مِنْ آكِلِي اللُّحُومِ، فَعَاشَ يَأْكُلُ مَا يَلْقَاهُ مِنْ أَعْشَابٍ جَافَّةٍ أَوْ طَرِيَّةٍ خِلَالَ النَّهَارِ، وَحِينَ يَأْتِي اللَّيْلُ، وَلَيْلُ الصَّحْرَاءِ مُوحِشٌ، يَتَرَبَّعُ مُحْتَمِيًا فِي صَخْرَةٍ أَوْ جَرْفِ جَبَلٍ وَيَنَامُ.

وَذَاتَ صَبَاحٍ.. صَحَا الْحِمَارُ مِنْ نَوْمِهِ، وَتَمَطَّى وَفَرَدَ عَضَلَاتِهِ الْمُتَرَاخِيَةَ، حَتَّى تَسْتَعِيدَ حَيَوِيَّتَهَا، وَتَمَرَّغَ فِي الرِّمَالِ يَمِينًا وَيَسَارًا حَتَّى يُبْعِدَ الْحَشَرَاتِ الَّتِي عَلِقَتْ بِجِلْدِهِ أَثْنَاءَ اللَّيْلِ وَنَامَتْ فَوْقَهُ، وَفَجْأَةً، هَبَّ وَاقِفًا وَأَسْرَعَ هَارِبًا مِنَ الْمَكَانِ.

كَانَ الَّذِي رَآهُ الْحِمَارُ ثَوْرًا عَجُوزًا أَصْفَرَ اللَّوْنِ هَزِيلًا، ظَنَّهُ الْحِمَارُ أَسَـدًا؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَرَ ثَوْرًا مِنْ قَبْلُ؛ لِذَلِكَ هَرَبَ حِينَ رَآهُ.

جَاءَتْـهُ ضَحِـكَاتٌ جَوْفَاءُ سَـاخِرَةٌ، تَوَقَّفْ، وَثَنَـى رَقَبَتَهُ وَنَظَرَ إِلَى الْـوَرَاءِ. رَأَى مَـنْ خَـافَ مِنْهُ مَرَّةً ثَانِيَـةً. تَأَكَّدَ أَنَّهُ لَيْسَ كَهَيْئَةِ الْأَسَـدِ الَّذِي تَعْرِفُـهُ كُلُّ الْحَيَوَانَاتِ وَتَخَافُ مِنْهُ، فَاسْـتَدَارَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ جَيِّدًا. شَـجَّعَتْهُ ضَحِكَاتُ الثَّوْرِ عَلَى الْعَوْدَةِ ثَانِيَةً، فَقَدْ وَجَدَ أَنِيسًـا يَعِيشُ مَعَـهُ بَدَلًا مِنَ الْوَحْدَةِ الَّتِي فَرَضَهَا عَلَيْهِ الْبَدَوِيُّ حِينَ نَسِـيَهُ وَرَحَلَ وَتَرَكَهُ وَحِيدًا.

صَارَ الْحِمَارُ وَالثَّوْرُ صَدِيقَيْنِ، وَعَاشَا بِجَانِبِ بَعْضِهِمَا يَدُورَانِ فِي الْوُدْيَانِ نَهَارًا، يَأْكُلَانِ مَا يُصَادِفُهُمَا مِنْ أَعْشَابٍ، وَحِينَ يَأْتِي الْمَسَاءُ يَنَامَانِ وَقَدْ أَلْصَقَا جَسَدَيْهِمَا بِبَعْضِهِمَا.

وَذَاتَ صَبَاحٍ.. تَشَـمَّمَتْ أَنْفَاهُمَا رَائِحَةَ أَعْشَـابٍ خَضْرَاءَ طَرِيَّةٍ، وَشَعَرَا بِبُخَارِ مَاءٍ يَتَعَلَّقُ فِي الْهَوَاءِ، نَظَرَ كُلٌّ مِنْهُمَا إِلَى الْآخَرِ فِي فَرَحٍ وَهَمَّ بِالْكَلَامِ، لَكِنَّهُمَا صَمَتَا، فَـلَا يَجِـبُ أَنْ يَتَكَلَّمَ الِاثْنَانِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، صَمَتَ كُلٌّ مِنْهُمَا لِيُعْطِيَ الْآخَرَ فُرْصَةَ الْكَلَامِ. وَلَكِنَّ كُلًّا مِنْهُمَا ـ دُونَ كَلَامٍ ـ عَرَفَ مَا يُرِيدُ الْآخَرُ أَنْ يَقُولَهُ.

سَـارَا يَتَشَـمَّمَانِ الْهَوَاءَ، لِيَدُلَّهُمَا عَلَى الطَّرِيقِ إِلَى الْمَاءِ وَالْأَعْشَابِ الطَّرِيَّةِ، وَلَمْ يُـدْرِكَا أَنَّ الطَّرِيـقَ يَصْعَـدُ بِهِمَـا إِلَى أَعْـلَى، وَلَمْ يَطُلْ بِهِمَـا الصَّمْتُ كَثِيـرًا.. حَتَّى لَامَسَـتْ أَنْفَاهُمَا قِمَمَ أَشْـجَارٍ عَالِيَةٍ، وَاكْتَشَـفَا أَنَّهُمَا عَلَى قِمَّةِ جَبَـلٍ يُطِلُّ عَلَى وَادٍ تُحِيطُهُ الْجِبَالُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَقَدِ امْتَلَأَ بِالْأَشْجَارِ، وَامْتَلَأَتْ آذَانُهُمْ بِغِنَاءِ الطُّيُورِ.

كَادَ الْحِمَارُ وَالثَّوْرُ يَقَعَانِ فِي الْوَادِي مِنْ شِدَّةِ فَرَحِهِمَا، وَلَكِنَّهُمَا تَمَاسَكَا وَرَاحَا يَبْحَثَانِ عَنْ طَرِيقٍ يَهْبِطَانِ مِنْهُ إِلَى سَـفْحِ الْجِبَالِ، تُرَحِّبُ بِهِمَا شَقْشَـقَاتُ الْعَصَافِيرِ وَغِنَاءُ الطُّيُورِ.

كَانَ بِهَـذَا الْـوَادِي عَيْـنُ مَاءٍ عَذْبٍ فِي وَسَـطِهِ، تَتَفَرَّعُ مِنْهَا الْعَدِيدُ مِـنَ الْقَنَوَاتِ، فَافْتَرَشَـتِ الْأَعْشَـابُ الْخَضْرَاءُ الطَّرِيَّةُ الْأَرْضَ، وَكَبِرَتِ الْأَشْجَارُ وَارْتَفَعَتْ حَتَّى طَالَـتْ قِمَـمَ الْجِبَـالِ، رَأَتْهَا الطُّيُـورُ فَحطَّتْ عَلَى أَفْرُعِهَـا وَبَنَتْ أَعْشَاشَـهَا وَصَارَ الْوَادِي وَطَنًا لَهَا.

عَـاشَ الْحِمَارُ وَالثَّـوْرُ فِي الْوَادِي، يَأْكُلَانِ حَتَّى يَشْـبَعَا، وَيَشْـرَبَانِ حَتَّى يَرْتَوِيَا، وَعَادَتْ إِلَيْهِمَا قُوَّتُهُمَا، وَكُسِـيَتْ عِظَامُهُمَا لَحْمًا، وَعَاشَـا يَمْرَحَانِ دُونَ أَنْ يَخَافَا مِـنْ جُوعٍ أَوْ عَطَشٍ، أَوْ هُجُومِ حَيَوَانٍ مُفْتَرِسٍ عَلَيْهِمَا؛ فَهَذِهِ الْحَيَوَانَاتُ لَمْ تَعْرِفِ الطَّرِيقَ إِلَى الْوَادِي.

وَذَاتَ يَوْمٍ.. أَرَادَ الْحِمَارُ أَنْ يَنْهَقَ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ مُنْذُ مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ، فَأَخْبَرَ الثَّوْرَ بِرَغْبَتِهِ، لَكِنَّ الثَّوْرَ كَانَ أَعْقَلَ مِنَ الْحِمَارِ.. وَقَالَ لَهُ مُحَذِّرًا:

- إِيَّاكَ أَنْ تَنْهَقَ يَا صَدِيقِي الْحِمَارَ.

أَطَاعَ الْحِمَارُ رَغْبَةَ الثَّوْرِ حَتَّى دُونَ أَنْ يَسْأَلَهُ عَنِ السَّبَبِ، وَلَمْ يَنْهَقْ، لَكِنَّ رَغْبَتَهُ فِي أَنْ يَنْهَـقَ عَالِيًا مُعْلِنًا فَرْحَتَهُ بِعَوْدَةِ الصِّحَّةِ وَالْحَيَوِيَّةِ إِلَيْهِ لَمْ تُفَارِقْهُ، عَادَ إِلَى الثَّوْرِ يُخْبِرُهُ ثَانِيَةً بِرَغْبَتِهِ.. أَعَادَ الثَّوْرُ تَحْذِيرَهُ لِلْحِمَارِ وَطَلَبَ مِنْهُ أَلَّا يَنْهَقَ وَقَالَ:

- يَا صَدِيقِي.. نَحْنُ نَعِيشُ هُنَا فِي سَلَامٍ، وَلَا يَعْرِفُ أَحَدٌ أَنَّنَا هُنَا، أَخَافُ أَنْ يَسْمَعَ صَوْتَ نَهِيقِكَ أَسَـدٌ يَكُـونُ بِالْقُرْبِ مِنَّـا، أَوْ حَتَّى ذِئْبٌ، وَيَعْـرِفَ طَرِيقَنَا وَيَأْتِيَ لِيُهَاجِمَنَا.

خَافَ الْحِمَارُ، وَأَسْـكَتَ رَغْبَةَ النَّهِيقِ فِي دَاخِلِهِ، وَلَمْ تَمُرَّ عِدَّةُ أَيَّامٍ وَهُوَ مُسَـيْطِرٌ عَلَى رَغْبَتِهِ فِي أَنْ يُطْلِقَ نَهِيقَهُ عَالِيًا، حَتَّى سَـيْطَرَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الرَّغْبَةُ، فَرَاحَ إِلَى الثَّوْرِ وَقَالَ لَهُ:

ـ سَـأَنْهَقُ يَا صَدِيقِي وَلْيَحْدُثْ مَا يَحْدُثُ، فَرَغْبَتِي فِي النَّهِيقِ تَقْتُلُنِي، سَـأَمُوتُ لَوْ لَمْ أَنْهَقْ.

لَـمْ يَنْتَظِرِ الْحِمَـارُ رَدَّ الثَّـوْرِ، وَأَطْلَقَ نَهِيقًـا عَالِيًا طَوِيلًا.. سَـمِعَهُ ذِئْبٌ كَانَ فِي الْجِـوَارِ.. عَرَفَ مَكَانَ الْحِمَـارِ، فَأَطْلَـقَ عُوَاءً تَعْرِفُـهُ الذِّئَابُ بِأَنَّـهُ دَعْوَةٌ إِلَى وَلِيمَـةٍ، وَتَجَمَّعَتْ عَائِلَـةُ الذِّئَابِ، وَرَاحُـوا يَبْحَثُونَ عَنْ طَرِيـقِ الْهُبُوطِ إِلَى الْوَادِي لِيَفْتَرِسُـوا الْحِمَارَ.

أَسْئِلَةٌ عَامَّةٌ عَلَى الْكِتَابِ

س1: لِمَاذَا صَارَ «رِزْقٌ» شَابًّا لا يَقْدِرُ عَلَى إِدَارَةِ تِجَارَةِ أَبِيهِ؟

س2: كَيْفَ أَصْلَحَ التَّاجِرُ حَالَ وَلَدِهِ «رِزْقٍ» وَصَنَعَ مِنْهُ رَجُلًا يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ؟

س3: مَاذَا وَجَدَتْ زَوْجَةُ الصَّيَّادِ فِي بَطْنِ السَّمَكَةِ؟ وَمَاذَا فَعَلَ زَوْجُهَا؟

س4: مَا الثَّمَنُ الَّذِي دَفَعَهُ الْمَلِكُ لِلصَّيَّادِ؟ وَكَيْفَ خَسِرَهُ الصَّيَّادُ؟

س5: لِمَاذَا أَصَرَّ «أَحْمَدُ» عَلَى أَنْ يَعْمَلَ وَهُوَ مَا زَالَ صَغِيرًا؟

س6: لِمَاذَا رَفَضَتِ الْأُمُّ أَنْ تَأْكُلَ مِنَ الطَّعَامِ الَّذِي قَدَّمَهُ الْبِسَاطُ؟ وَهَلْ وَافَقَهَا «أَحْمَدُ»؟ وَعَلَامَ يَدُلُّ ذَلِكَ؟

س7: هَلْ أَخَذَ التَّاجِرَانِ الْبَلَحَ الَّذِي اشْتَرَيَاهُ؟ وَلِمَاذَا؟

س8: بِمَ دَعَا التَّاجِرُ الْكَبِيرُ رَبَّهُ؟ وهَلِ اسْتَجَابَ اللهُ دُعَاءَهُ؟

س9: مَا الَّذِي جَعَلَ أُمَّ «جُحَا» تَكْذِبُ عَلَيْهِ وتَقُولُ لَهُ إِنَّ التَّمْرَ تَمْرُ الْبَدْوِ؟

س10: مَا الْحِيلَةُ الَّتِي اسْتَعَادَ بِهَا «جُحَا» تَمْرَهُمْ مِنَ الْبَدْوِ؟

س11: مَا الشَّيْءُ الَّذِي طَلَبَهُ الْغَنِيُّ صَاحِبُ الْبُسْتَانِ مِنْ خَادِمِهِ الصَّغِيرِ؟ وَمَا الْمُكَافَأَةُ الَّتِي وَعَدَهُ بِهَا؟

س12: كَيْفَ عَرَّفَ «جُحَا» صَاحِبَ الْبُسْتَانِ خَطَأَهُ؟ وَكَيْفَ كَانَ رَدُّ فِعْلِ صَاحِبِ الْبُسْتَانِ؟

س13: عَلَى أَيِّ شَيْءٍ اتَّفَقَ الْفَلَّاحُ مَعَ الصَّبِيِّ؟ وَهَلْ نَفَّذَ مَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ؟

س14: كَيْفَ أَيْقَظَ «جُحَا» ضَمِيرَ الْفَلَّاحِ وَجَعَلَهُ يُعْطِي الصَّبِيَّ مَا اتَّفَقَ مَعَهُ عَلَيْهِ؟

س15: مَا الشَّرْطُ الَّذِي أَخَذَهُ الْمُرَابِي عَلَى الْفَلَّاحِ الْفَقِيرِ مُقَابَلَ إِقْرَاضِهِ؟

س16: كَيْفَ أَنْقَذَ «جُحَا» الْفَلَّاحَ الْفَقِيرَ مِنْ شَرْطِ الْمُرَابِي؟ وَعَلَامَ يَدُلُّ ذَلِكَ؟

س17: مَا الصِّفَةُ الَّتِي تَمَيَّزَتْ بِهَا «زَعْفَرَانُ» بِنْتُ مَلِكِ الزَّمَانِ؟ وَمَا شَرْطُهَا لِلزَّوَاجِ؟

س18: مَاذَا كَانَ لُغْزُ «سَرْحَانَ»؟ وَهَلِ اسْتَطَاعَتِ الْأَمِيرَةُ حَلَّهُ؟

س19: مَا النَّصِيحَةُ الَّتِي اشْتَرَاهَا الرَّجُلُ مِنَ الشَّيْخِ الْعَجُوزِ؟ وَكَمْ دَفَعَ ثَمَنًا لَهَا؟

س20: هَلْ عَمِلَ الرَّجُلُ بِالنَّصِيحَةِ الَّتِي اشْتَرَاهَا؟ وَكَيْفَ كَانَتْ سَبَبَ نَجَاتِهِ؟

س21: مَا الْقِسْمَةُ الَّتِي كَانَ يُرِيدُهَا الْأَمِيرُ لِلشَّاةِ الْمَذْبُوحَةِ؟ وَمَنِ الَّذِي قَسَّمَهَا؟

س22: كَيْفَ اسْتَطَاعَتِ الْعَرُوسُ أَنْ تَجْعَلَ الْأَمِيرَ يَتَنَازَلُ عَنْ شَرْطِهِ؟

س23: مَاذَا فَعَلَ الرَّجُلُ الْغَنِيُّ حِينَ أُعْجِبَ بِنَاقَتِهِ الضَّخْمَةِ وَابْنِهَا؟ وَعَلَامَ يَدُلُّ ذَلِكَ؟

س24: كَيْفَ أَنْقَذَ الْحَطَّابُ الْفَقِيرُ حَيَاةَ جَارِهِ الْغَنِيِّ؟ وَعَلَامَ يَدُلُّ ذَلِكَ؟

س25: أَخْطَأَ «حَدِيدَانُ» مَرَّتَيْنِ. اذْكُرْهُمَا. وَصَحِّحْ لَهُ خَطَأَهُ.

س26: هَلِ اسْتَطَاعَ «حَدِيدَانُ» أَنْ يَخْبِزَ رَغِيفًا مُدَوَّرًا؟ وَلِمَاذَا؟

س27: لِمَاذَا كَانَتِ الْأَغْنَامُ تُحِبُّ «فَالِحًا»، وَلَا تُحِبُّ «مُرَاوِحًا»؟

س28: كَيْفَ أَحَبَّتِ الْأَغْنَامُ «مُرَاوِحًا» بَعْدَ ذَلِكَ؟

س29: لِمَاذَا نَدَرَ عَمَلُ رِجَالِ الشُّرْطَةِ والْقَضَاءِ فِي مَدِينَةِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ؟

س30: مَاذَا رَأَى الصَّبِيُّ فِي طَرِيقِهِ إِلَى الْمَسْجِدِ؟ وَلِمَاذَا لَمْ يَسْتَطِعْ تَصْدِيقَ مَا رَأَى؟

س31: مَاذَا طَلَبَ الْغُرَابُ مِنَ الثَّعْلَبِ؟ وَهَلْ وَافَقَ الثَّعْلَبُ؟

س32: مَا الْوَلِيمَةُ الَّتِي دَعَا إِلَيْهَا الْغُرَابُ الثَّعْلَبَ؟ وَكَيْفَ رَدَّ الثَّعْلَبُ وَلِيمَتَهُ؟

س33: مَاذَا اقْتَرَضَ الْبَدَوِيُّ مِنَ التَّاجِرِ؟ وَمَتَى كَانَ مَوْعِدُ السَّدَادِ؟

س34: هَلْ رَدَّ الْبَدَوِيُّ الدَّيْنَ إِلَى التَّاجِرِ؟ وَهَلْ أَخَذَهُ التَّاجِرُ؟

س35: مَاذَا اشْتَرَى التَّاجِرُ «تَقِيُّ الدِّينِ» مِنْ صَدِيقِهِ «أَبِي أَحْمَدَ»؟ وَهَلْ دَفَعَ ثَمَنَ مَا اشْتَرَى؟

س36: مَا الْمُشْكِلَةُ الَّتِي حَدَثَتْ بَيْنَ «تَقِيِّ الدِّينِ» وَ «أَبِي أَحْمَدَ»؟ وَكَيْفَ حَلَّهَا كَبِيرُ التُّجَّارِ؟

س37: مَاذَا عَمِلَ الْفَلَّاحُ عِنْدَ الْأَمِيرِ؟ وَمَا الْأَجْرُ الَّذِي طَلَبَهُ مُقَابِلَ عَمَلِهِ؟

س38: لِمَاذَا كَانَ مِنْدِيلُ الْفَلَّاحِ أَثْقَلَ مِنْ مِنْدِيلِ الْأَمِيرِ الْمُبَلَّلِ بِالْمَاءِ؟

س39: مَاذَا رَأَى الْحِمَارُ بَعْدَ أَيَّامٍ مِنْ وَحْدَتِهِ؟ وَلِمَاذَا خَافَ مِنْهُ؟

س40: مَاذَا حَدَثَ عِنْدَمَا أَطْلَقَ الْحِمَارُ نَهِيقًا عَالِيًا طَوِيلًا؟